

العلامة ترتليان



ΙΗΣΟΥΣ ΧΡΙΣΤΟΣ ΘΗΟΥ ΥΙΟΣ ΣΩΤΗΡ

من آبـــاء أفريقيا

✝

علم الباترولوچى

سلسلة آباء الكنيسة

العلامة ترتليان

TERTULLIAN

ترجمه وإعداد

أنطون فهمى چورچ



الكتـــــاب : العلامة ترتليان

ترجمة وإعداد : أنطون فهمى چورچ .

المطــبعـــة : الأنبا رويس (الاوفست) ـ العباسية ـ القاهرة .

رقم الإيداع : ١١٥٨٥ / ١٩٩٤م.

تطلب من :

كنيسة مارجرجس ـ اسبورتنج ـ الاسكندرية .

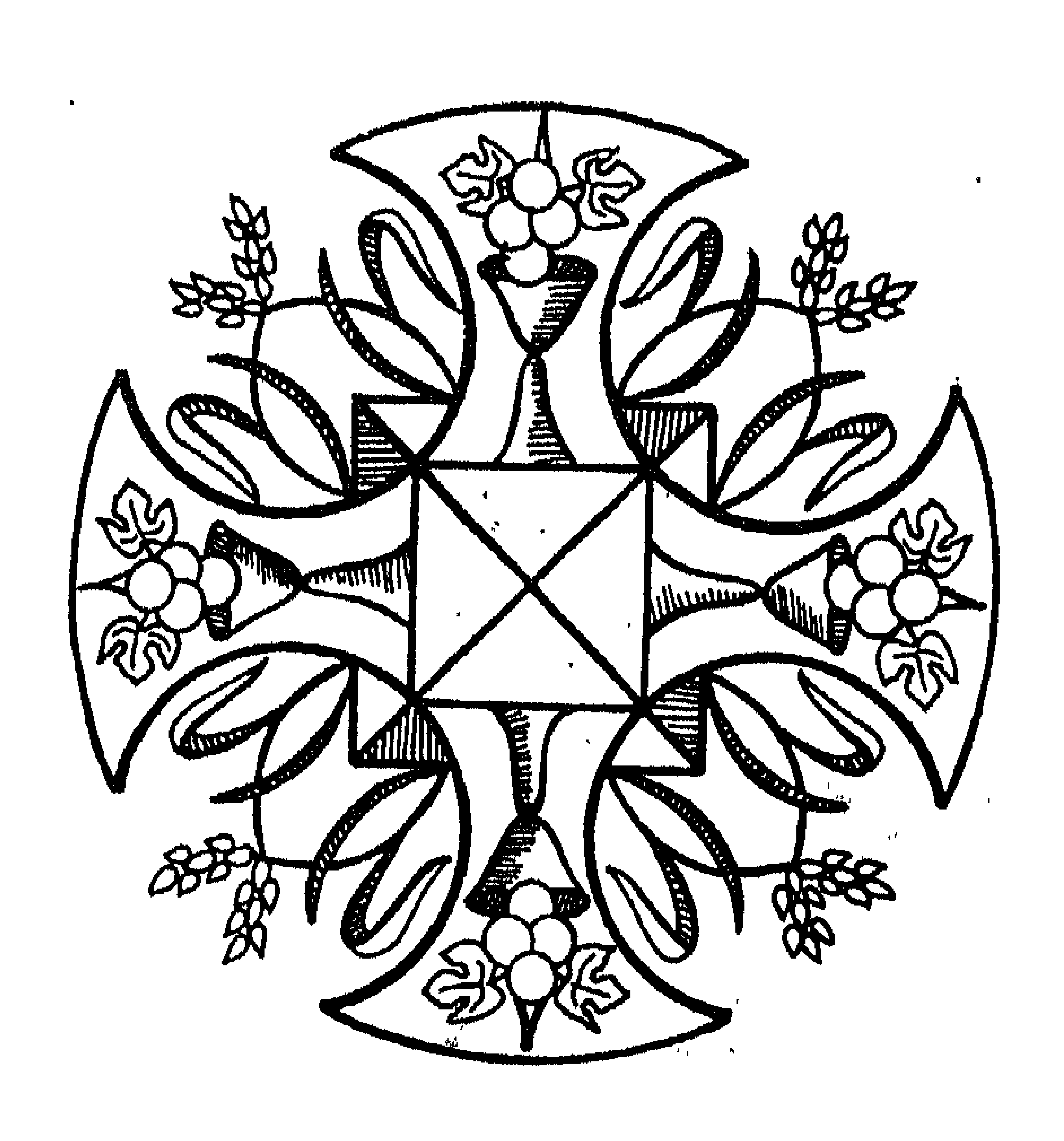
ص. ب. ١٧ الابراهيمية ـ ت . (٠٣/٥٩٦٩٨٨٨) .

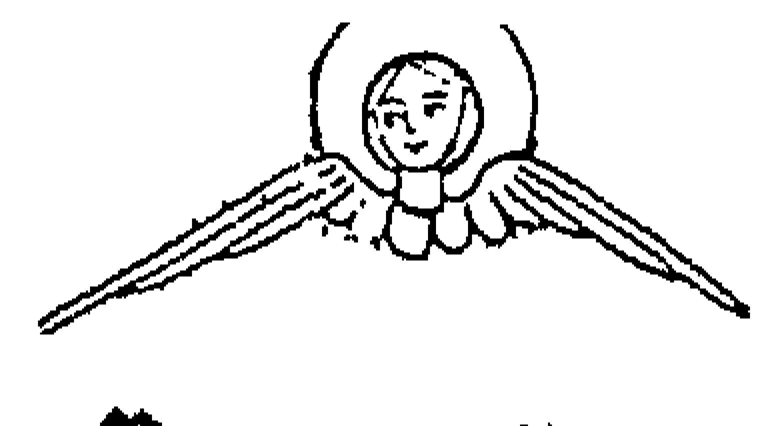
كنيسة القديسين ـ سيدى بشر ـ الاسكندرية .

ت . (٠٣/٥٤٨٧٧٢٨) .



قداسة البابا شنوده الثالث





مقدمة

دخلت المسيحية إلى العالم كديانة سماوية موحى بها من الله ، ووهبت للعالم بالمسيح يسوع ربنا ابن الله المتجسد الراعى والفادى والمخلص ، وهكذا لم تأت كمنهج فلسفى أو نظرى بل كحياة الله المنسكبة وسط هذا العالم .

ثم أرسل الرب رسله «ليكرزوا» لا ليشغلوا كراسى الأستاذية فى المدارس الفلسفية ، فالمسيحية هى «الطريق» (أع٩:٢) ولم تكن فكرة أو أيديولوچية أو منهجاً فلسفياً يُضاف إلى المذاهب والنظريات .

لقد وجد الرسل والأباء هجوماً لاهوتياً وفلسفياً ، ووجدوا شكوكاً وعداوات ، وهكذا واجهوا الفلاسفة الوثنيين والحكام من أجل الحفاظ على الإيمان ، إلا أن الرغبة فى تعميق عقائد الإيمان ـ عن غير قصد الرد على الهراطقة ـ ظهرت جلياً فى معظم الآباء ومنذ القرن الأول ، بدافع من الفهم والإستيعاب وايضاً بدافع شرح العقيدة للشعب .

ومن هنا يتضح التأثير الذى جرى على نمو «العلم» اللاهوتى والدفاع عن الإيمان قبالة الهجوم المضاد على المسيحية ، فكثرت الكتابات العقيدية *Dogmatic* والكتابات الدفاعية *Apologetic* لمقاومة البدع وإعلان الإيمان الحقيقى .

وعندما نأتى إلى الأباء الأفارقة نجد أن العلامة ترتليان والقديس كبريانوس أسقف قرطاجنة وأرنوبيوس ولاكتانتيوس من أشهر آباء أفريقيا الذى اعطوا كنيستهم الكثير ودافعوا عن الإيمان بكل قوة واقتدار ، واثروا الأدب المسيحى الأول .

ومن بين من انجبت افريقيا ، كان صاحب هذه السيرة العلامة ترتليانوس الأفريقى ، ولسنا ننكر أننا سنستفيد بملامح فكره وبعض كتاباته كعالم وكاتب كنسى سقط فى بعض الهرطقات ، مثله فى ذلك مثل أوريجين السكندرى ، ويقول فنسان دى لورين انه كما كان أوريجين يحتل المكان الأول بين علماء الكنيسة الذين كتبوا باليونانية ، كان ترتليانوس يحتل المكان الأول بين علماء الكنيسة الذين كتبوا باللاتينية .

ولا يوجد من العلماء من كان فى نفس مستواه ودراسته

وعلمه ، فقد فهم الفلسفة ببراعة فائقة ، وكان له إلمام بكل مدارسها وتواريخها وفلاسفتها *... وكان عجيباً فى قوته على الإقناع والحجة والمحاماة ، مدافعاً ومجادلاً معتبراً أن الله هو القاضى والإنجيل هو قانون المسيحيين والعقيدة هى الدستور والشريعة .

واستطاع أن يفحم كثيراً من المبتدعين الغنوصيين والوثنيين واليهود واتباع مرقيون وهرموجينيس وغيرهم ، ووضع مؤلفات كثيرة ، إلا أنه انحرف عقيدياً وتأثر بأفكار المانيين ، فعلى الرغم من علمه ونسكه وقع فى البدعة ، وكان القديس كبريانوس يقرأ له دوماً ولا يدع يوماً يمر دون أن يقرأ شيئاً من كتاباته ، وكان يقول فى أغلب الأحيان لتلميذه «اعطنى المعلم» (١) مشيراً بذلك إلى ترتليان .

وقال عنه چيروم المؤرخ : «ترتليان الذى ليس من الكنيسة» (٢) وتحدث القديس هيلارى أسقف بواتييه بكل أسى عن أخطاء هذا العلامة وكيف انحدرت قيمته العلمية وهو أعظم مفكر كنسى كتب باللاتينية فى جيله ، ولكن الكنيسة حرمته ، ففقد سمعته

* مجلة الكرازة ـ السنة التاسعة ـ ٢ يونيو ـ سنة ١٩٧٨م ـ العدد ٢٢ .

كعالم كنسى ، واصبح معدوداً بين الهراطقة والمبتدعين .

لقد أردنا أن نعطى اهتماماً بهذه السيرة لنتفهم جو الكنيسة الأولى ، ونعرف كيف شهدت للحق حتى وسط الإنحرافات الهرطوقية ، غير ملتزمة بعصمة أحد بصفتة الشخصية ، وغير مؤمنة بآراء ذاتية ، بل بالتقليد الكنسى الشامل .

إن الكنيسة لا تجامل الهراطقة ولا تراعى الوجوه ، بل تواجههم بكل قوة ، بالجدل والتعليم وبالنصح وبالحرمان ، وتقف حارسة للإيمان المسلم لنا مرة من القديسين ، وإن كانت مترفقة مع الخطاة لكنها غير مهادنة للهراطقة ، تتنقى من خمير البدع الفاسدة ، وتسهر لئلا يأتى مبتدع ويلقى بزوان البدع فى حقل التعليم .

وبالجملة يعتبر العلامة ترتليان من «الكُتاب الكنسيين» الذين لم تعتمد كتاباتهم كمصدر للتعليم مثل كتابات آباء الكنيسة ، ولكن كل ما يتفق مع عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية ومنهجها فى العبادة والحياة الروحية والتوجية المسيحى فى السلوك ، مما هو موجود فى كتابات الكتاب الكنسيين ، يقبله ضمير الكنيسة

كشرح وامتداد وتكميل لتعاليم وكتابات الآباء ، أما الأراء الخاصة بالكاتب الكنسى فى غير ما يمس العقيدة والعبادة والروحانية فهى تبقى رأى الكاتب الخاص .

أقدم هذه النبتة المتواضعة «**سلسلة اباء الكنيسة - أختوس** ΙΧΘΥΣ» شاعراً بصغرى فى جنب مواكب العلماء والأخصائيين الذين قدموا حياتهم فى خدمة التعليم واعطوا المكتبة العربية المسيحية ، وما نبغيه من إصدار هذه الموسوعة الابائية هو الإسهام الأخوى المتواضع فى خدمة محبى علم الآباء من رتب وطغمات كنيستنا المحبوبة .

ذاكراً تشجيع ومحبة أبينا المطران نيافة **الأنبا بيشوى** الذى يحرص دائماً على إزدهار دراسة العلوم اللاهوتية والمسكونيات ، وكذلك مساندة وصلوات أبينا الحبر الجليل **الأنبا بنيامين** النائب البابوى للاسكندرية الذى يرشدنا ويقودنا فى هذه المسيرة الآبائية .

ولا ننسى مساعدة نيافة الحبر الجليل **الأنبا ديسقورس** ومجهوداته السخية فى هذا العمل وكذلك قدس الأب الموقر

القس **أثناسيوس ميخائيل** مدرس التاريخ الكنسى من أجل حثه لنا على الاستمرار .

وليعوض الرب كل من له تعب وشركة فى هذا العمل بصلوات أبينا البابا البطريرك **الأنبا شنوده الثالث** ـ أطال الله حياته ـ وليكن هذا العمل لمجد الثالوث القدوس المبارك .

عيد الميلاد المجيد
١٩٩٥ ميلادية
١٧١١ للشهداء



العلامة ترتليان

TERTULLIAN

وُلد كوينتوس فلورنس ترتليانوس *Quintus Septimius Florens Tertullianus* في قرطاج نحو عام ١٥٥م ، وكان والداه وثنيين ، وكان والده قائد مئة في جيش الحاكم ، ودرس ترتليان القانون واشتهر في المحاماة في روما .

بعد قبوله الإيمان المسيحي عام ١٩٣م ، استقر في قرطاج وسرعان ما وظف درايته الواسعة بالقوانين والأدب والفلسفة لخدمة الإيمان المسيحي ، وبحسب چيروم [(١)] سيم ترتليان كاهناً ، ورغم انه هو نفسه لا يشير ابداً إلى رتبته الكهنوتية ، إلا أنه كان من الصعب أن يتمتع بمكانته الفريدة كمعلم رائد لو لم يكن قد نال نعمة الكهنوت ، وفيما بين عامي ١٩٥:٢٢٠م وضع الكثير من مؤلفاته ، وكان للعدد الضخم من الكتب التي ألفها في غضون هذه السنوات تأثيره الدائم على علم اللاهوت المسيحي ، ونحو عام

۲۰۷م انحرف ترتليان وسقط فى الهرطقة المونتانية *Montanism* بل وصار رئيساً لطائفة منهم تسمت باسمه «الترتليانيين *Tertullianists*» والتى ظلت موجودة فى قرطاج حتى زمان القديس أغسطينوس ، ورغم أننا لا نعرف تاريخ نياحته على وجه الدقة لكن لابد أنه كان بعد عام ۲۲۰م .

فيما عدا القديس أغسطينوس أسقف هيبو ، يُعتبر العلامة ترتليان أهم كاتب كنسى وضع أعماله باللغة اللاتينية ، وإذ كان يتمتع بمعرفة عميقة بالفلسفة والقانون وباللغتين اليونانية واللاتينية ، اتسمت أعماله بالقوة والبلاغة الرائعة مع السخرية الحادة ، وكان متشدداً تجاه الوثنيين واليهود والهراطقة ، وبعد انحرافه إلى المونتانية صار متشدداً ضد مستقيمى الإيمان .

جاءت كتابات العلامة ترتليان جدلية دفاعية ، ورغم أنه لا يخبرنا بالدافع وراء قبوله الإيمان المسيحى ، لكن من الواضح أنه لم يؤمن بالمسيحية نتيجة لمقارنة عقدها بين التيارات الفلسفية المختلفة كما كان الحال مع القديس يوستين الشهيد ، بل يبدو أن بطولة المسيحيين وشجاعتهم فى زمان الإضطهاد كان لها تأثير عليه أكثر من أى شئ أخر(۲) ، وكان الحق هو الغاية العظمى

من دفاعه عن المسيحية والسبب الرئيسى فى مهاجمته للوثنيين والهراطقة ، فقد كان يشتاق كثيراً إلى الحق ، بل إنه فى أحد كتبه وردت كلمة «الحق *Veritas*» ١٦٢ مرة ، وكان يؤكد دوماً أن إله المسيحيين هو إلـه الحق ، وكل من يجده يجد ملء الحق ، والحق هو ما تكرهه الشياطين ويرفضه الوثنيون ويتألم المسيحيون ويموتون لأجله ، فهو ما يميز المسيحى عن الوثنى ، وليس من الصواب أن نُرجع هذا إلى كون ترتليان محامياً وبليغاً يميل إلى حب الجدل ، إذ كان يتكلم حقاً من عمق قلبه (٣) ، وليس هناك أى شك فى أنه كان مستعداً تماماً لأن يموت لأجل إيمانه ، وفى الكلمات الأخيرة من دفاعه يعبر عن رغبته العارمة فى نوال إكليل الاستشهاد المبارك ، فهو يرفض الهرب فى زمان الإضطهاد .

وتُعد إسهامات ترتليان الأدبية للغة الكنسية الأولى ذات أهمية قصوى (٤) ، إذ أنها تُعد مصدراً هاماً لمعرفتنا باللغة اللاتينية المسيحية ، فهى تحتوى على عدد كبير من المصطلحات الجديدة التى استخدمها اللاهوتيون فيما بعد وصارت من الكلمات المستخدمة دوماً فى شرح العقيدة ، لذلك دُعى «مؤسس اللاتينية

الكنسية *The Creator of Ecclesiastical Latin*» ⁽٥⁾ ورغم أن هذا اللقب فيه مبالغة ، إلا أنه يوضح لنا مدى أهمية اسهامات ترتليان فى تاريخ اللغة اللاتينية المسيحية .





كتاباته

١) الأعمال الدفاعية

Apologetic Works

وسط أعمال ترتليان الدفاعية ، يرتبط كتاب «إلى الوثنيين *Ad Nationes* » وكتاب «الدفاع *Apologeticum* » ببعضهما البعض ، فكلاهما كُتب عام ١٩٧م ، وكلاهما يتناول نفس الموضوع ، لكن يمثل «الدفاع» الشكل الأكمل للموضوع ، وفى الغالب كتب ترتليان «إلى الوثنيين» قبل «الدفاع» كما يتضح من التلميحات الواردة فى العمل نفسه .

١) إلى الوثنيين *To The Heathens (Ad Nationes)*

يتكون هذا العمل من كتابين :

فى بداية الكتاب الأول يوضح ترتليان أن الاجراءات الرسمية المتبعة ضد المسيحيين ليست فقط غير عادلة بل أنها تناقض كل مبادئ

العدالة ، وهذا الظلم هو نتيجة لجهل الوثنيين وعدم معرفتهم بالمسيحيين معرفة صحيحة [1] .

ثم يفند المؤلف [2] الإدعاءات الكاذبة ضد المسيحيين ويثبت عدم صحتها وكذبها ويضيف أنه حتى لو كانت حقيقية ، فهذا لا يعطى الوثنيين الحق فى إدانة المسيحيين لأنهم هم أنفسهم يرتكبون جرائم أبشع .

وبينما انتهج ترتليان فى الكتاب الأول منهجاً دفاعياً نجده فى الكتاب الثانى يتخذ منهجاً هجومياً ، إذ كتب نقداً لاذعاً للديانة الوثنية بصفة عامة ، وللمعتقدات الرومانية فى الإلهة بصفة خاصة ، وتحدث عن مفهوم الإله وبرهن على أن الألهة الوثنية ليست إلا اختراعات بشرية مخلوقة .

٢) الدفاع *Apology (Apologeticum)*

«الدفاع» هو أهم أعمال ترتليان على الأطلاق ، وهو يختلف كثيراً عن كتابه «إلى الوثنيين» رغم أنها يتشابهان فى المضمون ، إذ وضع ترتليان لـ «الدفاع» بنية مترابطة الأجزاء والأفكار ، بينما يبدو «إلى الوثنيين» كمجموعة من المقالات وليس كعمل

متكامل ، فكتاب «الدفاع» يعطى على الفور إنطباعاً بأنه نابع من احتياج داخلى عند الكاتب ، وتأخذ المحاجحة فيه شكلاً قانونياً ، بينما المجادلات والمحاورات فى «إلى الوثنيين» تأخذ شكلاً فلسفياً بلاغياً ، ويظهر ترتليان تحفظاً أكثر فى كتابه «الدفاع» عنه فى «إلى الوثنيين» ، لأن كل من هذين العملين موجه إلى شخص مختلف ، فكتابه «إلى الوثنيين» ـ كما يتضح من عنوانه ـ كان موجهاً إلى العالم الوثنى بصفة عامة ، بينما الدفاع كان موجهاً لحكام الأقاليم الرومانية الذين كان ترتليان يهاجمهم ولكنه فى الوقت عينه كان يحاول أن يقنعهم ، لذلك كان متحفظاً فى هذا العمل أكثر مما فى الآخر (٣) .

مضمون الدفاع

فى المقدمة التى تتكون من ستة فصول ، يشرح ترتليان أن الجهل هو السبب وراء إضطهاد وكراهية المسيحيين (٤) ، وأن الإجراءات القانونية والقضائية التى تتبعها السلطات معهم تخالف كل مبادئ العدالة وتقاليدها ، والوثنيون أنفسهم لا يستطيعون أن يقدموا سبباً معقولاً لكراهيتهم للاسم «مسيحى» .

وبعد المقدمة يتحدث ترتليان عن الإتهامات التى توجه إلى المسيحيين ، وأوضح أن هذه الإتهامات لم تثبت صحتها ابداً ، وكانت الشائعات وحدها دوماً هى مصدر هذه الإفتراءات ، بينما الوثنيون أنفسهم يسقطون فعلاً فى أخطاء رديئة ، وأخطر إتهام ضد المسيحيين هو الإتهام باحتقار ديانة الدولة والخيانة العظمى .

وفى دفاعه يُظهر ترتليان مهارته كرجل قانون ، ويشرح أن المسيحيين لا يشتركون فى تكريم ألهة الوثنيين لأنها ليست إلا كائنات من اختراع الإنسان وصورها مادية مائتة ، وليس غريباً أن تكون هناك سخرية من هذه الألهة فى المسرح واحتقار لها فى أعيادها ، أما المسيحيون فيوقرون خالق العالم الإله الحقيقى الوحيد الذى أعلن ذاته فى الأسفار الإلهية ، لذلك من الظلم أن يتهم المسيحيون بالإلحاد طالما أن معبودات الوثنيين ليست ألهة (٥) ، وينادى ترتليان بحرية الأديان ويتساءل لماذا يُسمح للوثنيين بحرية تامة فى أن يعبدوا ألهتهم وينحتوا لهم معبودات من الطيور والحيوانات كما يشاءون ، بينما المسيحيون ، والمسيحيون فقط ، ممنوعون من أن يكون لهم ديانة خاصة بهم (٦) .

ثم يفند العلامة الأفريقى الاعتقاد السائد بأن الرومان يحكمون

العالم لأنهم يكرمون الأوثان ، فالإله الحقيقى وحده يهب السلطان على الممالك لمن يريد [٧] ، والمسيحيون لا يمتنعون عن عبادة ألهة الدولة لأنهم معاندون أو مقاومون ، كلا ، بل لأنهم يعرفون أن هذا التكريم إنما يقدم للشياطين ، ولذلك ايضاً لا يقدمون قرابين للألهة لأجل راحة وسعادة الأمبراطور ، كما يفعل الوثنيون ، لعلمهم أن هذه الألهة المزعومة عاجزة عن أن تساعده ، وهكذا لا يمكن أن يحسب رفضهم تقديم القرابين جريمة ، بل على العكس هم يصلون إلى الإله الحقيقى لأجل الحاكم والامبراطور .

وأبرز ترتليان أن المسيحيين ليسوا أعداء للدولة ولا للبشرية ، وأنه من الظلم أن يحسبوا خارجين عن القانون ، فقدم وصفاً حسناً للعبادة المسيحية :

«إننا مجتمع له شعور دينى مشترك ، ووحدانية فى التعليم ورابطة رجاء واحد ، نلتقى فى الإجتماعات كى نتقرب إلى الله فى الصلاة ونجمع قوانا لنلتف حوله ، وهذا الجهاد يرضى الله... نحن نصلى لأجل الأباطرة ، لأجل وزرائهم ، لأجل هؤلاء الذين فى السلطة ، لأجل طمأنينة العالم ولأجل السلام على الأرض» . [٨]

وفى القسم الأخير من الكتاب ، يجيب ترتليان على القول بأن المسيحية ليست إلا فلسفة جديدة ، فالمسيحية أعمق وأعظم من أن تكون مجرد مباحثات حول أمور فلسفية إنسانية ، بل هى إستعلان إلهى ، وحقيقة اعلنها الله ، لذلك لا يستطيع مضطهدوها أن يقووا عليها (٩) .

وفى «التاريخ الكنسى» ليوسابيوس القيصرى ، نقرأ أن «الدفاع» قد ترجم إلى اليونانية بعد صدوره بوقت قصير ، ورغم أن هذه الترجمة ـ والتى أغلب الظن أنها تمت فى فلسطين ـ قد اختفت سريعاً ، إلا أن وجودها يدلل على أهمية عمل ترتليان... وهذا «الدفاع» هو بإقرار الدارسين واللاهوتيين أفضل كتابات ترتليان (١٠) .

٣) شهادة النفس

The Testimony of The Soul
(De Testimonio animae)

اعتاد الفلاسفة الهيللينيين أن يستقوا معرفتهم عن الله من العالم الكبير *macrocosm* ومن العالم الصغير *microcosm*، العالم الكبير هو الكون كله ، أما العالم الصغير فهو النفس البشرية

وكان ترتليان يتبع نفس هذا النهج ، ففى الفصل السابع عشر من دفاعه يكتب :

«هل ستأخذون الدليل (على وجود الله) من أعمال يديه العديدة جداً والعظيمة جداً ، التى تحتويكم وتحييكم ؟ أم ستأخذون الدليل من شهادة النفس نفسها؟» . (١١)

هذه المناقشة حول النفس ، والتى وردت فى كتابه «الدفاع» عدلها ترتليان بإستفاضة فيما بعد فى عمل منفرد بعنوان «شهادة النفس» كتبه فى نفس العام الذى كتب فيه «الدفاع» أى ١٩٧م وتتضح السمة الدفاعية لهذا العمل ذى الفصول الستة من محاولة المؤلف أن يتخذ من النفس شهادة على وجود الله وصفاته ، وشهادة على الحياة بعد الموت ، وعلى الجعالة الحسنة والعقاب فى الحياة الآتية .

رأى ترتليان أنه لا حاجة للتأملات الفلسفية لأن الحقائق جميعها موجودة داخل النفس ، فالطبيعة هى أعظم معلم لأنها تعكس صورة الله ، فبعكس المدافعين اليونان ، يؤكد ترتليان على عدم جدوى الاستعانة بالفلسفة ، لأن الطبيعة ببساطة هى أفضل شهادة للحق (١٢) .

٤) إلى سكابيولا *To Scapula*

«إنه حق إنسانى أساسى وامتياز من الطبيعة ، إن كل إنسان يعبد بحسب معتقده ، فديانة المرء لا تؤذى ولا تنفع أى إنسان أخر» (١٣) .

هذه المناداة بحرية العقيدة والعبادة نقرأها فى افتتاحية الرسالة التى أرسلها ترتليان إلى سكابيولا *Scapula* حاكم أفريقيا (٢١١–٢١٣م) الذى بدأ يضطهد المسيحيين وأخذ يلقيهم إلى الوحوش الضارية ويحرقهم حتى الموت ، ويبدو أن ترتليان كتب هذا الدفاع نحو عام ٢١٢م .

يتكون هذا الدفاع الشجاع من خمسة فصول ، يؤكد ترتليان فى الأول منه ـ وهو المقدمة ـ على أن الدافع وراء الكتابة ليس الخوف على المسيحيين ، بل محبته المسيحية للحاكم واهتمامه به واللذين يوجبان عليه أن يحذره من اضطهاد المسيحيين ، فهو أمر غير معقول ويتنافى مع حق حرية الضمير أن يرغم المسيحيين على الذبح للأوثان ، وهم ليسوا أعداء لأحد وبالأخص لامبراطور روما لأنهم يعرفون أنه معين من قبل إلههم ، فيجب أن يحبوه ويوقروه

وهم يتمنون له الخير ، بل ولامبراطوريته كلها .

ولكن المسيحيين يحزنون عندما يجدوا السلطات لا تعاقب على جريمة سفك دم مسيحى ، ثم ينتقل ترتليان لموضوع علامات غضب الله على المضطهدين ، وأشار إلى نهايات بعض حكام الأقاليم الذين اضطهدوا المسيحيين (١٤) ، وهو الموضوع الذى تناوله العلامة لاكتانتيوس باستفاضة فيما بعد فى كتابه «نهاية المضطهدين»* .

ويحذر ترتليان الحاكم من أن القسوة لن تنجح بل فقط ستزيد من عدد المؤمنين :

«ليس لنا سيد إلا الله ، وهو أمامك ولا يمكن أن يغيب عنك ولكنك لا تستطيع أن تؤذيه ، أما هؤلاء الذين تعتبرهم سادة ، فهم مجرد بشر ويوماً ما سيموتون ، أما هذه الجماعة (الكنيسة) فلن تموت ، وتأكد أنها فى الوقت عينه الذى تهدم فيه ، تبنى بقوة أعظم» (١٥) .

* انظر كتابنا «العلامة لاكتانتيوس» ضمن هذه السلسلة «أختوس ΙΧΘΥΣ»

٥) ضد اليهود *Against The Jews (Adversus Judaeos)*

تزامن هذا الكتاب مع حدوث مجادلة ومحاورة بين أحد المسيحيين وأحد اليهود، استغرقت يوماً كاملاً حتى المساء ، فرأى ترتليان ضرورة صياغة هذا الموضوع فى كتاب حتى يستطيع حصر نقاطه .

يوضح ترتليان فى هذا الكتاب كيف أن اسرائيل قد ترك الرب ورفض نعمته ، ولذلك لم يعد للعهد القديم والناموس أى قوة الآن ، لكن يجب أن يفسر روحياً ، ولذا دعيت الأمم للدخول فى الإيمان [١٦] ، ويشرح العلامة الأفريقى أن الوصايا المكتوبة فى العهد القديم مثل الختان [١٧] وحفظ السبت [١٨] والتقدمات والذبائح [١٩] ليست ضرورية للخلاص وأنها قد انتهت ، واستبدل قانون العين بالعين بقانون المحبة ، ومعطى هذا العهد الجديد ، كاهن الذبيحة الجديدة ، حافظ السبت الأبدى [٢٠] ، قد ظهر ، المسيح الذى تنبأ عنه الأنبياء وعن ملكه الأبدى ، ويورد ترتليان الكثير من النبوات المسيانية التى تحققت فى مخلصنا ، وقد اعتمد ترتليان كثيرا فى هذا العمل على كتاب القديس يوستين الشهيد «الحوار مع تريفو *Dialogue with Trypho*» .

٢) الأعمال الجدلية

The Controversial Treatises

١) علاج الهراطقة *The Prescription of Heresies*

De Praescriptione haereticorum

تتضح من هذا الكتاب معرفة ودراية ترتليان بالقانون الرومانى أكثر مما فى جميع أعماله الأخرى ، وكان ترتليان يريد أن ينهى الجدل بين الكنيسة المستقيمة الإيمان وبين الهراطقة دفعة واحدة وذلك بأن يقدم فى هذا العمل الحجج والبراهين المنطقية المنظمة التى تدحض سائر البدع دفعة واحدة .

يرى ترتليان أن موضوع الخلاف بين الكنيسة والهراطقة هو الكتاب المقدس ، ولكن لا يحق للهراطقة أن يستخدموا الأسفار الإلهية فى مناقشاتهم لأنها لا تخصهم [٢١] ، ورغم أنهم يدّعون أنهم يقدمون الأسفار الإلهية ، إلا أنهم يحذفون الأجزاء التى تدحض فكرهم منها ، فيؤثرون على البعض ويضلون الضعيف

ويرهقون الأقوياء [٢٢] ، لذلك نحن ندافع عن الإيمان ضدهم بنقطة هامة تفوق شتى النقط الأخرى وهى ألا نسمح لهم بأى مناقشة من الكتاب المقدس ، وإذا كانوا يقدمون من الأسفار الإلهية ما يظنون أنه يؤيد انحرافاتهم ، فلابد أولاً قبل أن يستخدموها أن نعرف لِمنْ هذه الأسفار كى لا نسمح لأحد أن يستخدمها ما دامت لا تخصه .

فالهراطقة لا يستشهدون بالأسفار الإلهية بل يحرفونها ويغيرون معناها ، وهناك خطر جسيم يحيق بأى إنسان ضعيف الإيمان يدخل فى مناقشة من الكتاب المقدس مع هؤلاء الهراطقة ، لأن الكتاب المقدس لا يخص إلا هؤلاء الذين لهم قانون الإيمان والسؤال هو:

«منْ أين ، وعن طريق منْ ، ومتى ، ولمنْ ، سُلم قانون الإيمان الذى به يصير الناس مسيحيين؟ لانه حيثما كان قانون الإيمان المسيحى الحقيقى ، فهناك سيكون بالمثل الكتاب المقدس الحقيقى وكل التقاليد المسيحية» . [٢٣]

وفى الفصل الحادى والعشرين من هذا الكتاب ، يقدم ترتليان

علاجين يحرمان كل الهراطقة والمبتدعين من الأسس التى أنطلقوا منها:

العلاج الأول : المسيح أرسل الرسل مبشرين بالإنجيل ، لذلك يجب ألا يعتبر أحد مبشراً بالإنجيل عدا هؤلاء الذين عينهم المسيح .

العلاج الثانى : الرسل أسسوا الكنائس ، وفسروا لها الإنجيل ، وقووها وثبتوها لتشرح الإنجيل للناس ، لذلك ما أعلنه المسيح لهم لا يمكن لأحد أن يثبته أو يبرهنه عدا الكنائس التى أسسها الرسل أنفسهم .

وشرح ترتليان أن العقيدة الأرثوذكسية المستقيمة مؤسسة على تقليد الرسل «إن لنا شركة مع الكنائس الرسولية لأن عقيدتنا لا تختلف عنهم ابداً ، هذه هى شهادتنا للحق» (٢٤)... وهذه الحقائق وما يترتب عليها تمثل دحضاً وتفنيداً تاماً لسائر الهراطقة حتى انه يمكن القول انه ليست هناك ضرورة لأى اهتمام آخر بالجدالات معهم .

ومع هذا يقول ترتليان انه مستعد لأن يترك الطرف الآخر فى

المجادلة ، أى الهراطقة ، يعبرون عن فكرهم (٢٥) ، وهكذا يجيب على اعتراضاتهم وهى :

الاعتراض الأول : أن الرسل لم يسلموا وديعة الحق بأمانة ، إذ كانت هناك بعض أمور يجهلونها ، أو أنهم لم يسلموا كل ما كانوا يعرفونه للجميع (٢٦) .

الاعتراض الثانى : أن الكنائس لم تكن أمينة فى تسليم وديعة الإيمان (٢٧) .

ويجيب ترتليان على هذه الاعتراضات المنحرفة بتساؤله عما إذا كان من المفترض أن نؤمن أن الاستعلان يجب أن ينتظر أحد الهراطقة ليعلنه ، وأنه فى فترة الانتظار هذه كان الإنجيل فاسداً!! يستطرد المؤلف قائلاً أنه فى سائر الأحوال يجب أن الصواب يسبق الخطأ ، لذا الوجود المسبق المبكر لعقيدة الكنيسة المستقيمة هو علامة نقاوتها (٢٨) ، أى أنها موجودة قبل تعاليم الهراطقة ، وفى مثل الزوان والحنطة الذى علمه لنا المخلص ، وضعت البذرة الصالحة أى الحنطة أولاً ثم بعد ذلك الزوان ، وهذا يعنى أن ما سُلم أولاً هو من الرب وهو حق ، بينما ما هو غريب وكاذب قد

جاء وظهر فيما بعد .

وبحسب ترتليان ، يقف مبدأ أسبقية الحق *principalitas veritatis* ومبدأ تأخر الكذب والضلال (زمنياً)، فى وجه كل الهراطقة [٢٩] ، والكنيسة لم تقبل قط أى تحريف للأسفار الإلهية ، بينما حرفها الهراطقة كما يريدون [٣٠]، وهناك فرق طفيف بين الإنحراف عن حقائق الإيمان المستقيم وبين الوثنية ، فكلاهما مدمر ومهلك ، كلاهما من الشيطان [٣١] ، وسلوك الهراطقة سلوك ردئ لأنهم فقدوا كل مخافة لله [٣٢] .

وفى خاتمة الكتاب [٣٣] ، يقول المؤلف أن هذا الكتاب هو مقدمة عامة ضد الهراطقة سيتبعها كتب أخرى فى المستقبل القريب تفند أفكار الهراطقة وتجيب على إدعاءاتهم .

يُعد هذا العمل من أكثر أعمال ترتليان إكتمالاً وأكثرها قيمة وبسبب الأفكار الرئيسية المتضمنة فيه ، حفظ ونال الإعجاب ، وقد كُتب نحو عام ٢٠٠م قبل أن ينحرف ترتليان نفسه ويسقط فى البدعة المونتانية .

وفى نهاية العمل [٣٤] ملحق يتضمن قائمة بأثنين وثلاثين

هرطـقة ، وأغلب الظن أنه مجرد تلخيص لكتاب هيبوليتس «ضـد كل الهرطقات *Syntagma*»

٢) ضد مرقيون *Against Marcion* *(Adversus Marcionem)*

هذا الكتاب هو أطول أعمـال ترتليان ، وهو أحد الكتـب التى وعد بكتابتها ضـد الهراطقة فى نهاية كتابه «علاج الهراطقة» ، ولهذا العمل أهمية كبيرة إذ يمثل مصدراً أساسياً لمعرفتنا ببدعة مرقيون (٣٥) ، وهو يتكون من خمسة كتب:

الكتاب الأول: يفند الثنائية التى علم بها مرقيون بين إله العهـد القديم وإله العهـد الجديد ، ويبرهن على أن مفهوم الألوهية نفسه لا يتفق مع مثل هذه الثنائية ، فالله لا يمكن أن يكون إلهاً إذا لم يكن واحداً ، لأنه إذا كان سيداً عظيماً لابد أن يكون فريداً ليس له نظير ولا يكف عن أن يكون سيداً عظيماً (٣٦) .

الكتاب الثانى: يثبت أن خالق العالم هو نفسه الإله الصالح .

الكتاب الثالث: يتناول خريستولوچيا مرقيون ، وإذ كان يعلم بأن المسيح الذى تنبأ عنه الأنبياء فى العهد القديم لم يأت بعد ، لذلك يوضح ترتليان أن المسيح الذى جاء هنا على الأرض ليس إلا المخلص الذى تنبأ عنه الأنبياء .

الكتابين الرابع والخامس: يقدم فيهما ترتليان تعليقاً نقدياً على نسخة العهد الجديد التى يستشهد بها مرقيون ، مثبتاً أنه ليس هناك أى تناقض بين العهد الجديد والعهد القديم .

والشكل الحالى الذى وصلنا به العمل يمثل الإصدار الثالث منه، إذ أن النسخة الأولى منه كتبها ترتليان فى عجالة ، لذلك كانت سطحية ، أما الثانية فقد سرقها منه أحد معارفه وانحرف إلى المرقونية ، ويذكر ترتليان أنه أدخل إضافات فى هذه النسخة التى وصلتنا، ويعتقد *Quispel* أن هذه الإضافات هى الكتابين الرابع والخامس .



٣) ضد هرموجينيس *Against Hermogenes*

لم يكن ترتليان أول من كتب ضد الرسام والغنوصى هرموجينيس القرطاچى ، إذ قد سبقه إلى ذلك يوسابيوس القيصرى أبو التاريخ الكنسى فى كتابه «التاريخ الكنسى» [٣٧]، وثيؤفيلوس الأنطاكى فى كتابه «ضد هرطقة هرموجينيس *Against the heresy of Hermogenes*» ، ورغم أن هذا الكتاب الأخير قد فُقد إلا أنه أغلب الظن كان معروفاً لترتليان واستعان به .

ظن هرموجينيس الهرطوقى أن المادة أزلية وأنها معادلة لله ، وهكذا يكون هناك إلهين ، وبحسب ترتليان [٣٨] استقى هرموجينيس عقيدته هذه من الفلسفة الوثنية ومن الرواقيين الذى علموه أن يضع المادة فى نفس المكانة مع الرب كما لو كانت سرمدية ، غير مولودة وغير مخلوقة ، بلا بداية ولا نهاية .

يفند ترتليان هذه البدعة فى ٤٥ فصلاً مقدماً دفاعاً بارعاً عن التعليم المسيحى عن الخلق ، ويشرح [٣٩] أن مفهوم الإله نفسه لا يسمح بسرمدية المادة ، وبعد فحص دقيق لتفسير هرموجينيس

للكتاب المقدس (٤٠) يحلل ترتليان التناقضات الموجودة فى أفكاره عن جوهر المادة السرمدية وصفاتها الإلهية (٤١) .

وإذ تشير الكلمات الأولى فى الكتاب إلى «علاج الهرطقات» إذاً لابد أنه كُتب بعد عام ٢٠٠م ، وفى كتابه «عن النفس» يذكر ترتليان مرات عِدة انه وضع عملاً أخر ضد هرموجينيس عن أصل النفس ، لكنه فُقد .

٤) ضد أتباع ڤالنتينوس *Against The Valentinians (Adversus Valentinianos)*

فى هذا العمل كتب ترتليان تعليقاً لاذعاً على أفكار الجماعة الغنوصية ، ويعتمد كثيراً فى مضمونه وترتيبه على الكتاب الأول من «ضد الهرطقات» للقديس إيريناؤس ، ولكنه يقتبس بعض الشئ ايضاً من القديس يوستين الشهيد وميليتيادس (٤٢) .

٥) عن المعمودية *On Baptism (De baptismo)*

لهذا العمل أهميته الفائقة فى تاريخ الليتورچيا وسرى المعمودية والميرون ، فهو ليس فقط أول كتاب يتناول هذا الموضوع ، بل هو

ايضاً الكتاب الوحيد فى فترة ما قبل مجمع نيقية الذى يتناول أى سر من الأسرار ، ويمكن أن يصنف ضمن أدب ضد الهرطقات إذ كتب ضد سيدة من قرطاچ تدعى كوينتلا *Quintilla* ، أضلت عدداً كبيراً بعقيدتها المسمومة ، جاعلة هدفها الأول هو مهاجمة المعمودية المقدسة (٤٣) ، فرد عليها ترتليان فى هذا العمل الصغير ذى العشرين فصلاً ، ويتحدث فيه كما لو كان يعلم الموعوظين .

من أهم اعتراضات كوينتلا على المياه تساؤلها كيف يمكن لغسل الجسد بالماء أن يطهر وينقى النفس ويهب خلاصاً من الموت الأبدى ، لذلك بدأ ترتليان الفصل الأول بعبارة فرح وتعجب :

«يا لى السر المفرح الذى لمائنا الذى تُغسل فيه خطايا ظلمتنا الأولى ونصير أحراراً للحياة الأبدية» .

ويختم الفصل بقوله :

«نحن السمك الصغير نتبع مثال سمكتنا (أختوس ΙΧΘΥΣ) يسوع المسيح ، ونولد فى الماء ولا نخلص إلا بالحياة فيه (أى فى الماء)» .

ثم يشرح ترتليان أن استخدام الله لوسائل وأشياء من الحياة اليومية فى تتميم خلاصنا يجب ألا يكون حجر عثرة للذهن الجسدانى ، فهو يختار المزدرى وغير الموجود لخدمة أهدافه (٤٤) ، والماء عنصر نافع وواهب للحياة (٤٥) ، وقد قدسه الخالق منذ بداية العالم واختاره ليكون إناء لقوته (٤٦) ، وهنا نعرف من حديث ترتليان أن طقس تقديس جرن المعمودية كان يتمم فى كنيسة أفريقيا (٤٧) .

ومنذ أن رفّ روح الله على المياه عند الخلق ، صارت المياه رمزاً للتطهير والتنقية ، وسكنى للفعالية الفائقة ، وليس الغسيل الجسدى هو الذى يهب النعمة بل الفعل المُقدّس باستخدام الصيغة الثالوثية ، وبعد المعمودية يأتى سر المسحة المقدسة .

ويرى ترتليان فى عبور البحر الأحمر وخروج الماء من الصخرة (٤٨) ، وايضاً معمودية يوحنا الصابغ (٤٩) ، رموزاً للمعمودية المسيحية ، وأجاب المؤلف ايضاً على الاعتراض القائل أنه مادام المسيح لم يخدم هذا الطقس بنفسه ، إذاً هو طقس غير ضرورى للخلاص (٥٠) .

ويؤكـد ترتليـان أن هناك مـيـلاد واحـد فـقط أى الذى فى لكنيسة [٥١] ، وهو هنا يقرر عدم قانونية معمودية الهراطقة دون أن يخوض فى التفاصيل لأنه قد تناول هذا الموضوع قبلاً باللغة اليونانية كما يذكر [٥٢] .

وهناك استثناء واحد فقط من ضرورة المعمودية بالماء وهو الاستشهاد ، الذى يسميه ترتليان «معمودية ثانية» «معمودية الدم *The Baptism of Blood*» [٥٣] ، وهكذا يتحدث عن معموديتين أرسلهما لنا المسيح من جنبه المجروح ، كى هؤلاء الذين يؤمنون به يغتسلون بالماء ، وهؤلاء الذين اغتسلوا بالماء يحملون ايضاً علامة الدم [٥٤] .

وينبه ترتليان إلى أن هذا السر لابد أن يُعطى بتعقل وبلا تعجل فلابد أن يُختبر إيمان الشخص جيداً قبل أن يُعطى هذه النعمة العظيمة ، أما عن زمان تتميم المعمودية ، فيذكر ترتليان أن القيامة والعنصرة هما التوقيتان الليتورچيان لها ، لكن ايضاً كل وقت مناسب ومقبول ، فقد يكون هناك إختلاف فى ترتيب طقس الإحتفال (بين المعمودية يوم عيد القيامة وبين المعمودية فى أى يوم آخر) لكن النعمة واحدة [٥٥] ، ثم يتناول المؤلف فى الفصل

الأخير كيفية الإستعداد لنوال سر المعمودية .

ويخلو هذا العمل مِن أى أثر للمونتانية ، ويظهِر توقيراً كبيراً للرتب الكنسية ، وقد كتب ما بين ١٩٨–٢٠٠م .

٦) ترياق العقرب *Scorpiace*

«ترياق العقرب» هو عنوان كتاب صغير يتكون من ١٥ فصلاً يتضمن دفاعاً عن الاستشهاد ضد الغنوصيين الذين يقارنهم ترتليان بالعقارب ، فهم يعترضون على تقديم الحياة ذبيحة لله ، ويقولون أن هذا أمر غير ضرورى ولا يطلبه الله ، لذلك يشرح المؤلف أن الإستشهاد يصير واجباً وضرورة موضوعة على كل إنسان مسيحى حينما لا يكون هناك طريقة أخرى للإمتناع عن الاشتراك فى العبادة الوثنية ، بل وحتى فى العهد القديم كان الموت أفضل من ترك الإيمان [٥٦] ، فالاستشهاد هو ميلاد جديد يهب النفس حياة أبدية ، وقد كُتب هذا العمل غالباً أثناء إضطهاد سكابيولا (٢١٣) [٥٧] .

٧) عن جسد المسيح On The Flesh of Christ (De Carne Christ)

يرتبط كتاب «عن جسد المسيح» بكتاب «عن قيامة الأجساد» ارتباطاً شديداً ، إذ يمثلان معاً بحثاً قوى الحجة عن قيامة الجسد ذلك أن الهراطقة بدلاً من أن يؤمنوا بهذه الحقيقة ، انكروا حقيقة جسد السيد المسيح وهكذا جددوا أخطاء الظهوريين (أصحاب الهرطقة الدوسيتية *Docetic*) الذين يقولون أن جسد المسيح كان مجرد ظهور وليس حقيقة .

فى الفصل الأول يوضح ترتليان الهدف من الكتابة وهو معرفة جوهر جسد ربنا وحقيقته وصفاته وكيف يوجد ومن أين أخذه ، ويجيب فى هذا الكتاب على هذه الأسئلة كلها ، ويثبت أن المسيح وُلد حقاً وأن ميلاده كان ممكناً ولائقاً ، وأنه عاش ومات حقاً بجسد بشرى حقيقى ، وهكذا يدحض أفكار مرقيون الدوسيتية .

كما شرح أن طبيعة مخلصنا لم يأخذها من الملائكة رغم انه سُمى ملاك الرب ، ولا من النجوم كما قال البعض ، ولا من

جوهر روحى كما ظن ڤالينتينوس ، لكنه شابهنا تماماً فى كل شئ ما خلا الخطية وحدها ، وايضاً لم يكن من زرع بشر ، فجسد آدم الأول وجسد أدم الثانى لم يكونا من زرع بشر (٥٨).

ويشير المؤلف إلى إنحراف الغنوصيين الذين يقولون أن المسيح لم يأخذ أى شئ من العذراء وأنه وُلد «عن طريق *through*» أو «فى *in*» وليس «من *from*» العذراء مريم ، ودفاعاً عن أمومة العذراء الحقيقية والبشرية للمسيح ، يندفع ترتليان وينحرف هو نفسه وينكر دوام بتولية العذراء (٥٩) .

فى نهاية هذا العمل يذكر ترتليان أنه سيتناول موضوع قيامة الجسد فى بحث أخر (٦٠) ، وقد كتب هذين العملين ما بين ٢١٠ : ٢١٢م .

٨) عن قيامة الجسد *The Resurrection of The Flesh*

تربط مقدمة (٦١) «عن قيامة الجسد» بين كل الذين ينكرون قيامة الأجساد من الوثنيين والصدوقيين والهراطقة ، وتثبت عدم إتفاق تعاليمهم وعدم صحتها ، والعقل الصائب يشهد لذلك لأن

الجسد مخلوق بيد الله ومُفتدى من قِبل المسيح ، ولابد أن يُدان مع النفس فى اليوم الأخير (٦٢) .

ثم يفند ترتليان الإعتراضات التى توجه لهذه العقيدة (٦٣) ، ولكنه يتخذ من هذا كله أساساً للشرح الذى سيقدمه (٦٤) ، ثم يتناول المبحث الأساسى فى الكتاب وهو قيامة الجسد بحسب العهد القديم والجديد (٦٥) ، وقبل دراسة النصوص الكتابية يتحدث ترتليان عن الفهم الصحيح للغة الرمزية التى فى الأسفار المقدسة ، وفى القسم الأخير من الكتاب (٦٦) يتحدث عن حالة الجسد بعد القيامة ، وتتضح فى هذا العمل توجهات ترتليان وميوله للمونتانية (٦٧) .

٩) ضد براكسيس *Against Praxeas* *(Adversus Praxeas)*

أخر كتاب فى قائمة أعمال ترتليان الجدلية هو «ضد براكسيس» الذى كتبه نحو عام ٢١٣م ، وكان فى ذلك الوقت قد إنحرف إلى المونتانية .

كان براكسيس من أتباع بدعة الموداليزم *Modalism* أو مؤلمي الآب *Patripassion* الذين يقولون أن الله أقنوم واحد فقط وليس ثلاثة أقانيم ، فالآب هو الابن ، وبالنسبة لهذا المبتدع «الآب نفسه حلّ في العذراء ، وولد هو نفسه منها ، وتألم هو نفسه ، وهو عينه كان يسوع المسيح» !! (٦٨)

حينما انتشرت هذه البدعة في قرطاج ، كتب ترتليان هذا العمل الذي يمثل أهم إسهامة في شرح عقيدة الثالوث في فترة ما قبل مجمع نيقية ، وجاءت كلمات الكتاب واضحة دقيقة ومحددة ، وأسلوبه قوى وبارع ، وقد استخدم مجمع نيقية فيما بعد عدداً ليس بقليل من صيغ هذا الكتاب ، وكان له تأثير كبير على اللاهوتيين اللاحقين ، فهيبوليتس وديونيسيوس السكندرى وأخرون ، مدينون لهذا العمل ، كما اقتبس أغسطينوس في كتابه الضخم «الثالوث» التشبيه بين الثالوث القدوس وبين عمليات النفس البشرية ، والموجود في الفصل الخامس من كتاب ترتليان .

بعد المقدمة التى تناول فيها براكسيس وتعليمه ، يتحدث المؤلف عن عقيدة الثالوث وعمل التدبير الإلهى (الإيكونوميا) ثم يتحدث عن ميلاد الابن الذى يدعى ايضاً الكلمة وحكمة الله ،

ويثبت باستشهادات كتابية حقيقة وجود ثلاثة أقانيم ، ويقدم شهادة إنجيل يوحنا ليدحض تفسير براكسيس المنحرف لبعض النصوص الكتابية ، واخيراً يتحدث عن الروح القدس كأقنوم متمايز عن الآب والابن ، ولكن هذا كله مجرد إطار للكتاب ، أما فى الفصول الواحدة والثلاثين فيشرح ترتليان بإستفاضة عقيدة الثالوث .

وأوضح أن العلاقة بين الآب والابن لا تتعارض مع وحدانية الله لأنهما لا يختلفان عن بعضهما بالإنفصال بل بالتمايز [٦٩] ، وكان العلامة ترتليان أول كاتب لاتينى يستخدم كلمة «ثالوث *Trinitas* » [٧٠] ولكن للأسف فى دفاعه عن تمايز الأقانيم سقط فى إنحرافات بدعة التدرجية فى الثالوث *Subordinationis* [٧١] .

١٠) عن النفس *On The Soul (De anima)*

فيما عدا كتابه «ضد مرقيون» يعتبر كتابه عن النفس أطول أعماله ، وهو يصنف ضمن أدب ضد الهرطقات لأن المؤلف يوضح فى بداية الفصل السادس أن الأخطاء المعاصرة له هى التى جعلته يكتب هذا العمل ، وكان ترتليان يعتبره تكملة لعمل سابق

له «عن أصل النفس *De censu animae*» يدافع فيه عن الأصل الإلهى للنفس ضد هرموجينيس ، ويذكر الكاتب أنه بعد أن رد على هرموجينيس فيما يتعلق بموضوع أصل النفس ، يريد الآن أن يلتفت للسؤال الأخر والذى لكى يناقشه لابد أن يتسلح ضد الفلسفة ، ويقول أن مناقشة موضوع النفس لا تحق للمفكرين الوثنيين الذين يمزجون الأفكار الصحيحة مع الأفكار الخاطئة وهم لذلك «آباء الهراطقة»... وقد كتبه فى الغالب نحو ٢١٠ :٢١٣م.



٣) الأعمال الأخلاقية والنسكية

Moral and Ascetical Works

يتضح إنحراف ترتليان إلى المونتانية وإيمانه بمعتقداتها فى أعماله الأخلاقية والروحية أكثر مما فى باقى أعماله .

١) إلى الشهداء *To The Martyrs (De martyras)*

كان هذا العمل من أوائل أعمال ترتليان ، وبالرغم من قصره (٦ فصول فقط) وبساطة أسلوبه إلا أنه نال إعجاب الأجيال المتتالية ، وقد كتبه إلى عدد من المعترفين المحبوسين والذين كانوا على وشك التقديم للموت بسبب إيمانهم المسيحى ، فيشجعهم ويحثهم على الثبات ، ويذكرهم الكاتب بالمعونة التى أخذوها من **«أمنا الكنيسة»** ، ولم يتمنى فقط لهم أن ينزعوا عنهم الخوف من الاستشهاد ، بل ايضاً أثار فيهم حماسة حية إذ علمهم أن الاستشهاد أعظم الأعمال وأمجدها ، فالموت من أجل المسيح ليس مجرد قبول غير واعى للألم وإحتماله بل هو اختبار لقوة النفس

وجهاد بأعمق معنى للكلمة ، ويختار ترتليان تشبيهاته المؤثرة من المصارعات التى تدور فى المجتلد (حلبة المصارعة) ومن أوجه الحياة العسكرية .

وفى الفصل الثانى من الكتاب يحث ترتليان المجاهدين ألا ينزعجوا أو يضطربوا عند انفصالهم عن العالم .

ويكرر الفصل الثالث صورة المصارعة والقتال التى دُعى إليها الشهداء ، ويطلب منهم ترتليان أن يعتبروا السجن مكان تدريب لهم .

أما الفصول من ٤ :٦ فتقدم أمثلة لأناس احتملوا آلاماً عظيمة بل وايضاً ضحوا بحياتهم لأجل طموح أو غرور أو حتى مجرد ظروف إضطرارية ، بينما الشهداء يتألمون من أجل الله .

٢) العروض والمسرحيات *Shows (De spectaculis)*

هذا العمل هو إدانة ورفض شامل لكل الألعاب العامة فى السيرك والاستاد والمسرح والمصارعات الرياضية ، ويتكون من قسمين: قسم تاريخى [٧٢] وقسم أخلاقى [٧٣] .

فى القسم الأول : يشرح ترتليان أنه يجب ألا يحضر أى إنسان مسيحى مثل هذه العروض ، لأن أصلها وتاريخها وأسماءها وإحتفالاتها وأماكنها تظهر جميعاً أنها ليست إلا نوع من الوثنية وسائر المؤمنين قد جحدوها فى نذر المعمودية .

وفى القسم الثانى : يوضح أن هذه الأمور تثير الشهوة ، فتفسد أى أخلاقيات ، وهى بعيدة تماماً عن إتباع المخلص ، والفصل الأخير يرسم صورة واضحة لـ «المجئ القريب للرب» ويوم الدينونة الأخير .

هذا العمل موجه إلى الموعوظين كما يتضح من عبارته الإفتتاحية ، وقد كتبه ترتليان قبل تحوله إلى المونتانية ، وقبل كتابيه «عبادة الأوثان» و «عن ثياب النساء» لأن كل منهما يشير إليه (٧٤) ، وقد كُتب فى الغالب نحو ٢٠٢م .

٣) عن ثياب النساء *On The Dress of Women (De cultu feminarum)*

يُعالج ترتليان فى هذا الكتاب نفس الفكرة التى تناولها فى «إلى الشهداء» وفى «عن العروض والمسرحيات» ، فيؤكد أنه لا يكفى

أن نجحد الوثنية فى المعمودية ، بل يجب أن نحيا حياة مسيحية يومية ، لذلك يحذر النساء في هذا الكتاب ألا تتسلط عليهن الموضة الوثنية بل يكن متعقلات معتدلات فى مظهرهن .

ويذكر ترتليان المرأة المسيحية أن الخطية الأولى دخلت العالم عن طريق حواء المرأة الأولى ، لذلك الثوب الوحيد اللائق ببنات حواء هو رداء التوبة ، أما الزينة الخارجية والمساحيق فهى من أصل شيطانى ، ويدين العلامة الأفريقى سائر أنواع التزين مثل الذهب والفضة والجوهرات والأحجار الكريمة ، فالندرة هى السبب الوحيد الذى يجعل لهذه الأشياء قيمة (٧٥) .

وفى القسم الثانى من هذا الكتاب يمدح ترتليان فضيلة العفة المسيحية التى لا تسمح للنساء أن يغيروا صنعة الخالق أى الجسد باستعمال المساحيق وصباغة الشعر ، ويقنع المرأة المسيحية أن مظهرها لابد أن يميزها دوماً عن الوثنيات ، ثم يتحدث فى الفصل الأخير عن الظروف المعاصرة له فى المجتمع ويحث النسوة أن يكن مستعدات لقبول آلام الاستشهاد (٧٦) .



٤) عن الصلاة Concerning Prayer (De oratione)

كتب ترتليان هذا العمل نحو عام ١٩٨ :٢٠٠م إلى الموعوظين ، ويستهله بشرحه كيف أن العهد الجديد قدم لنا شكلاً للصلاة لم يكن موجوداً في العهد القديم أى الصلاة بالروح والحق ، والصلاة في الخفاء ، وضرورة إيمان الصلاة وثقتها بالله ، وكل هذه السمات تظهر في الصلاة الربانية «أبانا الذى في السموات...» التى هى ملخص الإنجيل كله ، ثم يقدم ترتليان شرحاً للصلاة الربانية (٧٧) ، هو أقدم تفسير لها في تاريخ الكنيسة كله (٧٨) ، إذ لم يسبقه أى تفسير أخر بأى لغة أخرى ، ويضيف العلامة عدداً من النصائح الثمينة العملية ، فيعلم أنه لا يمكن لأحد أن يشكر الله دون أن تكون له مصالحة مع أخيه وأن يكون متحرراً من الغضب وإضطرابات الذهن (٧٩) ، وهذا يتطلب قبل كل شئ نقاوة القلب ، وليس مجرد غسيل الأيدى (٨٠) .

ويستنكر ترتليان الجلوس أثناء العبادة (٨١) ، فهو فعل خال من الوقار أمام عينى الله الحى ، وينصح بالعبادة بأيادى مرفوعة وصوت خفيض وحركات عفيفة متضعة (٨٢) ، ويجب ألا يحرم الإنسان نفسه من قبلة السلام لأنها ختم الصلاة ، والإستثناء الوحيد هو يوم الجمعة الكبيرة (٨٣) .

ويخبرنا ترتليان أنه من المعتاد السجود فى أيام الأصوام وفى صلوات باكر ، ولكن يمتنع عن السجود فى أيام القيامة والخمسين المقدسة (٨٤) ، أما عن مكان الصلاة ، فكل مكان مناسب لتمجيد الخالق (٨٥) ، وليس هناك وقت معين ، ولكن سيكون نافعاً جداً لنا إذا استطعنا أن نجمع أنفسنا فى السواعى الهامة: الثالثة والسادسة والتاسعة ، ويجب ألا نستقبل ضيفاً أو نودعه دون أن نرفع أفكارنا معه إلى الله .

وفى الفصلين الأخيرين من الكتاب يمدح الصلاة كذبيحة روحية ويمجد قوتها وفعاليتها

وإذا قارنا هذا العمل بكتاب العلامة أوريجانوس السكندرى عن الصلاة ، سنلحظ عدم وجود المفاهيم الفلسفية (بعكس أوريجين) وإتجاه ترتليان العملى فى الكتابة ، إذ كان مهتماً بالتدريب الداخلى والخارجى فى الصلاة ، وكان يخاطب المسيحيين بصفة عامة وليس مجرد مجموعة معينة ، وترجع قيمة هذا العمل الثمين ليس فقط لعمق أفكاره ، بل وايضاً لكونه تعبير روحى عن المفهوم المسيحى الحقيقى للحياة .

٥) عن الصبر *Concerning Patience (De patientia)*

يبدأ الكتاب باعتراف متضع من المؤلف أمام الله أنه كان تهور منه ـ إن لم يكن عدم حكمة ـ أن يتجرأ ويكتب عن الصبر ، لأنه هو نفسه لم يستطع أن يقتنى هذه الفضيلة بعد وأن يحيا ما يكتب ، لأنه إنسان بلا صلاح... ولكن مناقشة الإنسان للأمور التى لم تعطى له ستكون نوعاً من التعزية له (٨٦) .

يرى ترتليان أن مثال الصبر ورمزه هو خالقنا الذى يشرق بهاء نوره على الأبرار والأشرار ، وقد قدم لنا السيد المسيح أعظم مثال للصبر فى تجسده وحياته وآلامه وموته ، ووسيلة الإنسان لبلوغ هذا الكمال هى على وجه الخصوص الطاعة ، أما عدم الصبر فهو أم جميع الخطايا والشيطان هو أبوها ، وهذه الفضيلة ، فضيلة الصبر تنبع من الإيمان وتتبعه لأنه هو ايضاً لايمكن أن يوجد بدونها .

ثم يمدح ترتليان بركات الصبر الذى يقود للتوبة ويخلق المحبة ، ويقوى الجسد ويدربه على إقتناء العفة وعلى قبول الإستشهاد بثبات ، ونجد الأمثلة البطولية لذلك فى العهد القديم والجديد مثل

أشعياء النبى وأستفانوس أول الشهداء .

ولابد أن ترتليان كتبه ما بين عام ٢٠٠ : ٢٠٣م ، ويعتبر مصدراً هاماً لمعرفتنا بشخصية المؤلف ، وقد استعان به القديس كبريانوس فى عمله «عن الصبر الحسن» (٨٧) .

٦) عن التوبة *Concerning Repentance (De paenitentia)*

يتمتع هذا الكتاب بأهمية فائقة فى تاريخ قوانين التوبة فى الكنيسة ، خاصة وأن المؤلف الأفريقى كتبه قبل إنحرافه عن الإيمان المستقيم ، وقد وضعه فى الغالب نحو عام ٢٠٣م ، ويتكون من قسمين :

القسم الأول : التوبة التى يجب أن يقدمها الإنسان الموعوظ قبل أن ينال نعمة المعمودية (٨٨) .

القسم الثانى : يتحدث عن التوبة الثانية التى بعد المعمودية (٨٩) .

ورغم أن ترتليان يحذر قراءه فى هذا العمل من التهاون إعتماداً على وجود توبة ثانية (٩٠) ، إلا أنه يحذرهم بالمثل من السقوط فى

هاوية اليأس وقطع الرجاء

ويشرح ترتليان أن التوبة الثانية لابد أن تتبعها مصالحة كنسية ، ولتحقيق هذه المصالحة ، لابد للخاطئ أن يعترف إعترافاً علنياً ويخضع لقوانين توبة [(٩١)] ، فيجب أن تقترن التوبة بالندم والحزن والإتضاع الحقيقي والخضوع والبكاء والنحيب كما ايضاً بالصلوات والميطانيات .

وفى الفصل الأخير يصور ترتليان العقاب الأبدى الذى لهؤلاء الذين يتهاونون بخلاصهم دون أن يقدموا توبة ثانية [(٩٢)] .

٧) إلى زوجته *To His Wife (Ad uxorem)*

كتب ترتليان ما لا يقل عن ثلاثة كتب عن الزواج وتكرار الزيجة ، الأول كتبه أيام أن كان مستقيم الإيمان ، والثانى أيام أن كان نصف مونتانى ، والثالث بعد أن قطع نفسه من الكنيسة المقدسة وسقط فى البدعة المونتانية ، والكتاب الأول «إلى زوجته» هو أفضل هذه الثلاث ، وقد كتبه ما بين عامى ٢٠٠ :٢٠٦م ، وهو يتكون من قسمين ، ويتضمن نصائح لزوجته كى تسلك

بحسبها بعد نياحته ، والتى يتركها فى شكل وصية ميراث روحية لها .

ينصح ترتليان زوجته أن تظل أرملة وألا تتزوج ثانية لأن هناك أسباب عميقة هامة تؤيد ذلك ، بينما لا يوجد أى سبب حسن للزيجة الثانية ، فالجسد والعالم وشهوة النجاح يجب ألا يدفعوا الإنسان المسيحى إلى الزواج ثانية لأن خادم الله يرتقى فوق هذه الأمور كلها ، والروح أقوى من الجسد لذلك يجب أن تخضع أمور الأرض لأمور السماء .

وإذا أراد الله لأرملة أن تفقد زوجها بنياحته ، يجب ألا تحاول هى بزواجها ثانية أن تستعيد ما أخذه الله ، وهذا الإتحاد ما هو إلا عائق فى طريق القداسة (!!).

وبالطبع هذه المحاجات والبراهين ليست مقنعة تماماً ، لذلك يناقش المؤلف فى القسم الثانى من الكتاب إحتمال أن زوجته لا تريد أن تحيا وحدها بعد نياحته ، وفى هذه الحالة يلتمس منها أن تختار إنساناً مسيحياً ، لأن زواج المؤمنين من غير المؤمنين أمر خطر على الإيمان وعلى الأخلاق [٩٣].

وهناك خطر كبير على الإنسانة المسيحية التى تتزوج من أحد الوثنيين ، إذ قد تضطر إلى الاشتراك معه فى طقوس العبادة الوثنية فى أعياد الشياطين ، وأعياد الحكام ، والسبب وراء هذه الزيجات هو ضعف الإيمان وإشتهاء غنى ومسرات هذا العالم ، ويقارن ترتليان بين مثل هذه الزيجة ، وبين زيجة أثنين مسيحيين متفقين فى العبادة والصلاة والروح [٩٤] .

٨) حث على العفة *Exhortation to Chastity (De exhortatione)*

وجه ترتليان هذا الكتاب إلى أحد أصدقائه الذى فقد زوجته حديثاً ، وإذ ينصحه ترتليان ألا يتزوج ثانية ، يتناول مرة أخرى موضوع الزيجة الثانية الذى يرفضه ويعتبره مخالفة لإرادة الله ، بل إنه يرى أن الزواج الثانى ما هو إلا نوع من الزنا (!!) [٩٥] وهنا يتضح ميله إلى المونتانية ، فبينما فى كتابه «إلى زوجته» يمدح بركات الزيجة الثانية المسيحية ، يبدو أنه يندم هنا أنه سمح بها وينظر إليها كمجرد زنا ، ويستشهد بكتابات مونتانية فى هذا العمل الذى يبدو أنه كتبه ما بين عامى ٢٠٤ : ٢١٢م .

٩) الزيجة الواحدة *Monogamy (De monogamia)*

هذا العمل هو الثالث فى ترتيب الكتب التى وضعها ترتليان عن الزواج ، وهو أكثرهم حسناً فى الأسلوب وإنحرافاً فى المضمون ، ومن المقدمة يتضح لنا أن ترتليان قد ترك الكنيسة الأرثوذكسية المستقيمة وإنضم إلى المونتانيين منحرفى الإيمان ، ويرى فى هذا الكتاب ايضاً أن الزواج الثانى ما هو نوع من الزنا (!!) [٩٦] ، ويعود تاريخ وضع هذا الكتاب إلى نحو عام ٢١٧م [٩٧] .

١٠) عن خمار العذارى *The Veiling of Virgins (De virginibus velandis)*

يعالج هذا الكتاب موضوعاً كان ترتليان يرى فيه أهمية قصوى ، ويتضح من المقدمة أنه قد كتب قبلاً باليونانية عن نفس هذا الموضوع .

بعد التحدث عن هذه العادة وتطورها التدريجى ، يوضح ترتليان أن التقاليد المعاصرة له التى تحث المرأة أن تخفى وجهها فى

مناسبات عديدة ، تنطبق على المتزوجة وغير المتزوجة ، دون أن يُستثنى أحد من هذه القاعدة ، إذ أن الكتاب المقدس والطبيعة والسلوكيات الحسنة جميعها تحث العذراء على تغطية رأسها ، وإذا كانت تفعل ذلك خارج الكنيسة فلما لا تفعله داخلها؟

وقد كتب ترتليان هذا العمل نحو عام ٢٠٧م .

١١) الإكليل *The Crown (De corona)*

عندما مات الأمبراطور سبتيموس ساويرس *Septimius Severus* فى ٤ فبراير عام ٢١١م ، قرر أبناؤه صرف منحة نقدية لكل جندى فى الجيش ، وعند توزيع هذه المنحة فى إحدى المعسكرات ، تقدم الجنود ليستلموها وهم يرتدون أكاليل من الغار ، فيما عدا جندى واحد فقط كانت رأسه عارية ويحمل إكليله فى يديه ، لذلك بدأ الجميع ينظرون إليه باستغراب وكثر الكلام عنه ، وبلغ القائد الذى استجوبه فى الحال وسأله عن السبب وراء عدم إرتدائه الإكليل مثل زملائه ، فأجابه أنه لا يستطيع أن يرتدى الإكليل مثل باقى الجنود ، ولما سأله عن سبب ذلك أجاب «أنا مسيحى» فانتقل الموضع إلى ضابط أعلى ثم إلى

الحاكم وفى النهاية تزين هذا الجندى بإكليل الاستشهاد .

وبعد أن يسرد ترتليان هذه الواقعة يطرح السؤال «هل يجب ألا يرتدى المسيحيون أكاليل؟» (٩٨) ويكتب مدافعاً عن هذا الجندى موضحاً أن إرتداء الأكاليل لا يتفق مع الإيمان المسيحى ، ويقول أنها عادة وثنية مرتبطة بعبادة الأوثان ، ولم يحدث أن ذكر العهد القديم أو الجديد هذه العادة .

وتسود فى هذا الكتاب الأفكار المونتانية التى سقط فيها ترتليان ، ويرجع تاريخ الكتاب لعام ٢١١م .

١٢) عن الهروب فى زمان الإضطهاد

Flight in Persecution (De fuga in persecutione)

يطرح ترتليان فى هذا الكتاب سؤالاً هاماً : هل يُسمح للمسيحيين أن يهربوا فى زمان الإضطهاد؟

وتأتى إجابته بالنفى ، لأن الهروب يخالف إرادة الله ، لأن الإضطهادات تأتى بسماح منه كى يتقوى إيمان المسيحيين ، رغم

أننا لا نستطيع أن ننكر أن للشيطان دوراً فيها .

وإن اعترض أحد واستشهد بقول المخلص فى (مت١٠ :٢٣) «ومتى طردوكم من هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى» ، يجيبه ترتليان موضحاً أن هذا القول يقتصر على الرسل وعلى زمانهم وظروفهم ، لكن ليس فى الوقت الحالى [٩٩] ، وكذلك لا يسمح لأحد أن يهرب من الضيقات والإضطهادات بدفع الأموال ، لأن السبب وراء ذلك هو الخوف من الاستشهاد ، فإفتداء إنسان من الاستشهاد بالمال ، وهو نفسه الذى افتداه المسيح المخلص بدمه ، هو عمل غير لائق بالله [١٠٠] .

وقد أرسل ترتليانوس هذا الكتاب إلى صديقه فابيوس *Fabius* ويسود فى هذا العمل ايضاً فكره المونتانى [١٠١] ، لذلك لابد أنه كتبه نحو عام ٢١٢م .



١٣) عن عبادة الأوثان *Concerning Idolatry (De idolalatria)*

يتناول ترتليان في هذا الكتاب سؤالاً هاماً : هل يُسمح للمسيحى أن يخدم فى الجيش؟

ولكنه يخرج من هذه النقطة إلى موضوع أخر ، إذ يريد أن يحرر المؤمن من كل شئ يربطه بالوثنية ، ولا يكتفى بإدانة صانعى وعابدى الصور الوثنية (١٠٢) بل يدين ايضاً كل مهنة أو فن لها علاقة بالوثنية ، لذلك يرى أن علماء الفلك والتنجيم والرياضيين والمدرسين وأساتذة الأدب ، بجانب السحرة ومدربى المصارعين وخلافهم (١٠٣) هم جميعاً مرفوضون من الكنيسة .

١٤) عن الصوم *On Fasting*

فى هذا الكتاب يهاجم ترتليان المونتانى الكنيسة المقدسة فى موضوع الصوم .

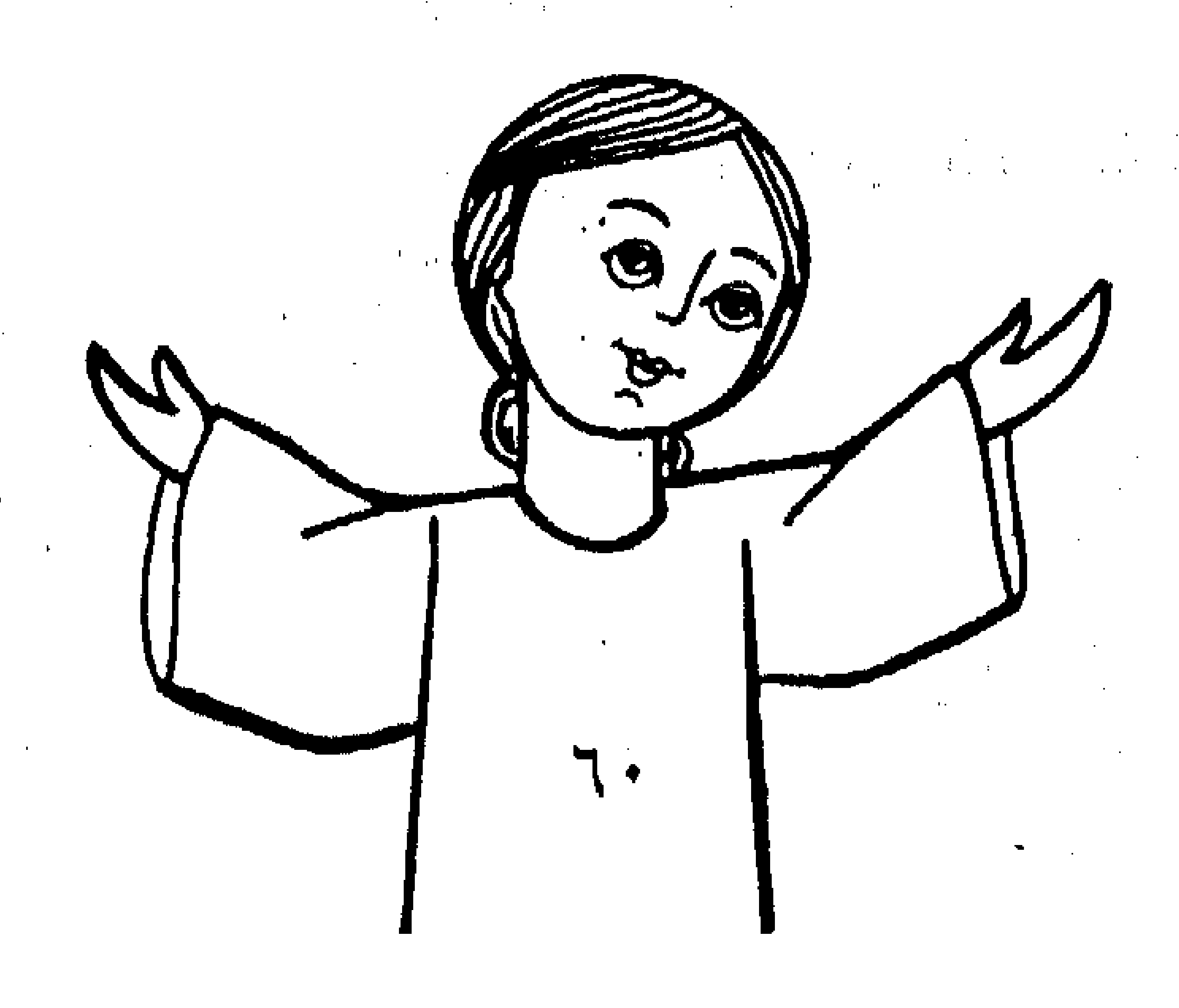


١٥) عن الاعتدال *On Modesty (De pudicitia)*

مثل الكتاب السابق ، يهاجم ترتليان الكنيسة فى هذا العمل ، ولكن فى موضوع أكثر أهمية وهو سلطان المفاتيح ، والذى بحسب المونتانية لا يخص الهيرارخية الكنسية ، بل الروحية أى الرسل والأنبياء (!!) .

١٦) عن العباءة *Concernng The Pallium (De pallio)*

وهو أصغر أعمال ترتليان ويتكون من ٦ فصول فقط ، وقد كتبه مدافعاً عن نفسه عندما أُنتقد بسبب تغير سلوكه فى الحياة اليومية ، إذ ترك عنه إرتداء العباءة العادية وبدأ يرتدى التّوجة *toga*(وهو ثوب رومانى فضفاض) .



ملامح من فكره

سُمى ترتليان مؤسس اللاهوت الغربى وأبو الخريستولوچيا ، إلا أن هذه مبالغات لأنه لم يضع أى نظام منهجى إذ كان يفتقر إلى الترتيب المنطقى المنظم لحقائق الإيمان ، ورغم أن أى قارئ لكتاباته الدفاعية لا يستطيع أن ينكر قدراته التأملية والجدلية ، لكنه لم يكن مهتماً بأن يصل إلى اتفاق بين العقل والإيمان إذ كان يريد أن يؤكد أنه حتى لو كان هناك تناقض ظاهرى بين حقائق الفداء وبين العقل ، فلن يمنعه ذلك من الإيمان به ، وهو هنا يختلف تماماً عن لاهوتى مدرسة الاسكندرية العظماء وخاصة معاصره كلمنضس السكندرى .

١) التقليد (١)

يشتمل «التقليد» عند العلامة ترتليان على كل ما اعتادت الكنيسة ممارسته على مدى الأجيال الطويلة ، من ممارسات روحية وليتورچيات ، مثل التغطيس ثلاث مرات فى جرن المعمودية ،

وعدم السجود فى أيام الأحاد والخمسين المقدسة ، وصلاة القداس الإلهى فى الصباح الباكر ، ورشم علامة الصليب ، فكل ذلك يمكن أن يوصف بأنه «تقاليد» ، والتقليد الرسولى الإنجيلى هو الإيمان المُسلم من الرسل .

لم يضع ترتليان التقليد فى مقابلة مع الكتاب المقدس أو فى مقارنة معه ، بل على العكس أكد على أن التقليد محفوظ فى الكتاب المقدس ، لأن الرسل كتبوا تعليمهم الشفاهى فى رسائل ، لذا كان للكتاب المقدس سلطة ومصداقية تامة ، وكل تعاليمه هى بالضرورة حقيقية وصحيحة ، والويل لمنْ يقبل عقائد ليست موجودة فيه .

ولا يقتصر التقليد الرسولى عند ترتليان على العهد الجديد فقط ، فالعهد القديم موجود فى العقيدة التى تكرز بها الكنائس ، ووجد العلامة الأفريقى ـ مثل القديس إيريناؤس أسقف ليون ـ أن أضمن حارس لصحة ومصداقية هذه العقائد هو أن مؤسسى الكنائس هم الآباء الرسل الذين رعوها وخدموها وارتبطت بهم دوماً ككنائس رسولية فيقول :

«يسوع المسيح ربنا ، بينما كان يعيش على الأرض ، أعلن عن ذاته ، معلناً مشيئة الآب التى جاء ليتممها ومقاصده التى أكملها من أجل الإنسان .

وقد أعلن هذا كله ، إما جهاراً أمام الناس أو لخاصته من التلاميذ الذين اختارهم وأقامهم ليكونوا مكرمين مقربين إليه لقيادة العمل الكرازى فى المسكونة كلها ، وأولئك الرسل حملوا أولاً شهادة الإيمان بيسوع المسيح فى اليهودية وأسسوا الكنائس هناك ، ثم خرجوا إلى العالم ليكرزوا وسط الأمم بنفس التعليم ونفس الإيمان ، فأسسوا الكنائس فى كل مدينة دخلوها ، ومن هذه استمدت الكنائس الأخرى أغصان الإيمان وبذار التعليم يوماً فيوماً ، فهى ثمار الكنائس الرسولية ، وعلى الرغم من تعددها ، إلا أنها تمثل الكنيسة الأولى كنيسة الرسل ، فهى واحدة ووحدانيتها تظهر فى السلام الذى تنعم به والأخوّة المتأصلة بين مؤمنيها برابطة الحب الأخوى .

ومن ثم فإن القاعدة التى تأصلت هى أنه منذ أن أرسل ربنا يسوع المسيح الرسل للكرازة لم يُعتبر أحد كارزاً إلا الذين عينهم هو... وكان أساس كرازتهم هو استعلان المسيح لهم ، فصارت

تعاليمهم ركيزة الإيمان ودعامة الحق لأن الكنائس استلمت من الرسل ، والرسل من المسيح ، والمسيح من الله الآب... وإن كنتم تهتمون بأمر خلاصكم ، عودوا إلى الكنائس الرسولية حيث الكراسى الرسولية وحيث تقرأ كتابات الرسل المُقننة الأصلية» (٢) .

٢) الإكليسيولوچى

كان ترتليان أول كاتب مسيحى يستخدم كلمة «أم» فى وصف الكنيسة ، ويدعوها «**أمنا الكنيسة**» (٣) ، وفى موضع أخر فى تفسيره للصلاة الربانية للموعوظين ، يحرص على أن يشرح أن كلمة «آب» التى فى البداية تتضمن ايضاً نداء للابن ، وانه لابد أن نفهم أن هناك أماً ايضاً (٤).

وفى كتابه عن المعمودية ، يخاطب الموعوظين قائلا: «لذلك أيها المباركون الذين تنتظرهم نعمة الله ، عندما تخرجون من الحميم المقدس الذى للميلاد الجديد ، وفى بيت **أمكم** للمرة الأولى أرفعوا أياديكم(للصلاة)» (٥) .

ومن الأهمية أن نعرف أن هذا المفهوم الكنسى استمر فى فكر

وعقل ترتليان حتى بعد سقوطه فى البدعة المونتانية ، ففى كتابه عن النفس والذى وضعه ما بين عام ٢١٠ :٢١٢م يحاول أن يشرح كيف أن خلقة حواء من جنب آدم كانت رمزاً لميلاد الكنيسة من جنب الرب المصلوب « كما أن آدم كان رمزاً للمسيح ، كذلك كان نوم آدم رمزاً لموت المسيح الذى نام نوم الموتى ، كى من الجرح الذى فى جنبه يمكن بنفس الطريقة (التى خلقت بها حواء) أن تتأسس الكنيسة الأم الحقيقية للحياة» (٦) .

فى كتابه «عن الاعتدال» يدعو الكنيسة «**أماً**» (٧) ، أما فى كتابه «علاج الهراطقة» ، فهى مستودع الإيمان وحارسة الاستعلان ، وهى وحدها وريثة الحق وتسجيلاته ، وهى وحدها تملك الأسفار الإلهية التى لا يستطيع الهراطقة أن يقرأوها قانونياً ولها وحدها عقيدة الرسل والتتابع الرسولى القانونى منهم ، وبالتالى هى وحدها تعلم جوهر رسالتهم ، وهذا المفهوم يشبه إلى حد بعيد مفهوم وفكر القديس إيريناؤس أسقف ليون الملقب بأبو التقليد الكنسى .

وفى دفاعه ، يصف ترتليان الكنيسة فى أيامه فيقول :

«إننا ننمى ونغذى إيماننا بالأقوال المقدسة لنثبت رجاءنا ونرسخ ثقتنا ، وفى نفس الوقت ننمو فى النسك والتلمذة ، أما رؤساؤنا فهم أولئك الشيوخ الموقرين الذين نالوا كرامتهم لا بشرائها بثمن ، بل بخصالهم النبيلة لأنه ليس ثمن يستطيع أن يشترى الأمور المختصة بالله .

أما العطاء فنحن نقدمه طواعية لنصنع رصيداً من الرحمة ، لأننا لا ننفق من أموالنا فى إقامة الولائم أو حفلات الشرب أو الصخب الغير لائق ، لكننا ننفقها من أجل إطعام الفقراء المعوزين الذين ليس لهم من يعولهم والذين تحطمت بهم سفينة حياتهم والكادحين فى المناجم أو المنفيين إلى الجزر البعيدة أو الذين فى السجون أو المضطهدين من أجل اعترافهم بالإيمان ، الذين يتألمون لأنهم من اتباع المسيح ، لكن الجميع يشهدون لنا ويشيرون إلينا قائلين "انظروا كم يحبون بعضهم البعض ، انظروا كم هم مستعدون أن يموتوا من أجل بعض" لأنهم هم أنفسهم يكرهون بعضهم بعضاً ، وهم يستعجبون أننا نادى بعضنا بكلمة "أخوة" ، والذين يتعجبون من اجتماعاتنا التى يعبر عنها باليونانية بكلمة "أغابى *Agape*" أى محبة» (٨) .

٣) الثالوث

فى عقيدة الثالوث والخريستولوچيا ، قدم العلامة ترتليان أعظم اسهاماته لعلم اللاهوت ، إذ جاءت بعض صياغاته وتعريفاته دقيقة للغاية لدرجة أنها ادخلت ضمن المصطلحات الكنسية وبدأ استخدامها منذ ذاك الحين ، وكان ترتليان أول من استخدم كلمة «ثالوث *Trinitas*» فى الحديث عن الأقانيم الإلهية الثلاثة ، وفى شرحه لعقيدة الثالوث ، يتحدث عن ثالوث متحد إلهى: [٩] الآب والابن والروح القدس ، وفى كتابه ضد براكسيس يقدم لنا أوضح تعبير عن عقيدته فى الثالوث القدوس ، فيشرح التوافق بين الثليث والتوحيد فى اللاهوت مؤكداً على وحدانية الجوهر للأقانيم الثلاثة [١٠] ، فالابن «من جوهر الآب» [١١] ، والروح القدس هو «من الآب» [١٢] ، وهكذا يقول ترتليان «إننى أؤكد دوماً أن هناك جوهر واحد للثلاثة المتحدين معاً» [١٣] .

وكان ترتليان ايضاً أول من استخدم كلمة «أقنوم *Persona*» ويقول عن اللوغوس أنه «آخر» غير الآب «بمعنى الأقنوم وليس من حيث الجوهر ، لأجل التمايز وليس لأجل الإنفصال» [١٤] ،

كما يستخدم كلمة «أقنوم» فى حديثه عن الروح القدس الذى يسميه «الأقنوم الثالث» [١٥] .

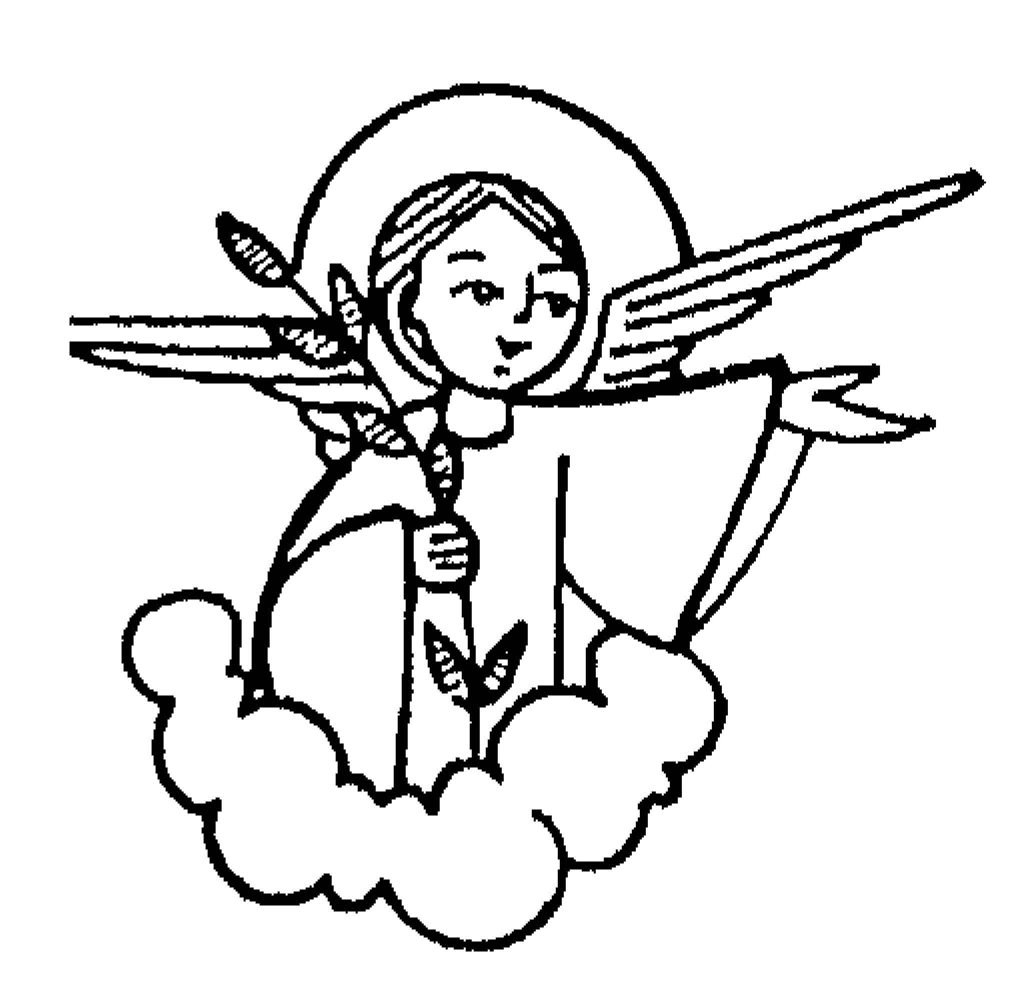
ويرى فى قول الله «لنخلق الإنسان على صورتنا كشبهنا» دليلاً على تثليث الأقانيم فى الله ، وكذلك قول الله «ها هو الإنسان قد صار كواحد منا» ، ويشرح أن الله قال ذلك لأن ابنه وكلمته كان معه وكذلك الأقنوم الثالث أى الروح القدس .

إلا أن ترتليان كان متأثراً بعض الشئ ببدعة التدرجية فى الثالوث ، ويظن أن الابن ليس أزلياً [١٦] ، كما يعتقد أن الآب هو الجوهر كله أما الابن فهو مجرد فيض منه وجزء من الكل ، ودليله على ذلك قول الابن«لأن أبى أعظم منى»(يو١٤ :٢٨) [١٧]

٤) الخريستولوچى

على الرغم مما يشوب فكر ترتليان عن الثالوث من أخطاء ، إلا أنه يمثل تطوراً فى صياغة وشرح عقيدة الثالوث [١٨] ، فبعض مصطلحاته مثيلة تماماً لمصطلحات مجمع نيقية الذى انعقد بعد ذلك بنحو قرن من الزمان ، كما أن هناك مصطلحات أخرى من

لغته حفظها لنا التقليد واستخدمتها مجامع أخرى ، وينطق هذا القول بصفة خاصة على فكره الخريستولوچى والذى نجد فيه كل ما هو مستقيم فى فكره اللاهوتى دون أى إنحراف ، فهو يؤكد انه فى تجسد ربنا يسوع المسيح لم يتحول اللاهوت إلى ناسوت ، ولم يحدث امتزاج ولا اختلاط نتج عنه جوهر جديد من الأثنين ، ويشرح العلامة ترتليان أنه إذ كان ربنا يسوع المسيح إلهاً متجسداً ، لذلك كانت فيه الخصائص والصفات الكاملة لكل طبيعة ، فكان يصنع المعجزات والعجائب وفى الوقت عينه كان يشعر بجميع المشاعر الإنسانية ، فجاع فى التجربة على الجبل وعطش مع المرأة السامرية وبكى على لعازر واخيراً مات حقاً ، ولكن هذا لا يعنى أن مخلصنا المسيح هو عنصر ثالث ناتج من امتزاج اللاهوت والناسوت معاً .



٥) المعمودية

عرض لكتاب "المعمودية" (١٩)

«نحن السمك الصغير نتبع مثال سمكتنا (أختوس $IX\Theta Y\Sigma$) يســوع المســيح ، ونولد فى الماء ولا نخلص إلا فيه» (٢٠) .

تحدث ترتليان (٢١) فى كتابه عن المعمودية عن سبب استخدام المياه كمادة لتتميم السر ، وهو يرى أن الإنسان يجب أن يوقر المياه أولاً بسبب عمرها وقدمها ، وثانياً بسبب كرامتها لأنها كانت كرسى لروح الله دوناً عن كل العناصر الموجودة آنذاك ، وكانت المياه تمثل نوعاً من القوى المنظمة للخليقة التى تمم بها الله ترتيب العالم ، لأن جلد السماء صار بإنفصال المياه : «قال الله ليكن جلد فى وسط المياه ، وليكن فاصلاً بين مياه ومياه» (تك١ :٦) واليابسة ايضاً ظهرت بإجتماع المياه فى مكان واحد: «وقال الله لتجتمع المياه من تحت السماء إلى مكان واحد» (تك١ :٩) .

وبعد أن رتب الله العالم وعناصره ، كانت المياه أول من أخذ

وصية بإخراج خليقة حية: «وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية» ، فكانت المياه أول من أثمر خليقة حية لكى لا يكون أمراً عجيباً فى المعمودية أن المياه تعرف كيف تهب حياة .

وكما فى البدء كان روح الله يرّف على المياه (٢٢) ، كذلك سيستمر يرف على مياه المعمودية ويقدسها ، ومنه تأخذ المياه قوة التقديس ، فبعد الصلاة على مياه المعمودية تأخذ قدرة التقديس السرائرية لأن الروح القدس ينزل ويستقر على هذه المياه مقدساً إياها ، وعندما تتقدس ، تنال هى نفسها القدرة على تقديس الآخرين .

كان من المعتاد قبلاً أن ملاكاً ينزل ويحرك مياه بركة حسدا ، وكان المرضى ينالون من هذا الماء الشفاء ، ولكن هذا الشفاء الجسدى كان رمزاً للشفاء الروحى (٢٣) ، بحسب القاعدة التى تقول أن الأشياء الجسدية لابد أن تسبق دوماً الأمور الروحية ، لتكون رمزاً لها ، وهكذا عندما ازدادت نعمة الله بين الناس ، اصبح الذين كانوا ينالون قبلاً شفاء من أمراض جسدية ، ينالون الآن شفاء لأرواحهم ، وبعد أن كانت المياه تهب شفاء زمنياً ، صارت تهب شفاء أبدياً ، وعندما تغسل خطية الإنسان وجريمته

فى المعمودية ، تُلغى العقوبة ايضاً ، فيستعيد الإنسان صورة وشبه الله بسكنى روح الله القدوس فيه .

ويشهد ترتليان على استخدام الصيغة الثالوثية فى المعمودية (٢٤) فيقول أن المعتمد يُغسل ويختم إيمانه باسم الآب والابن والروح القدس ، لأنه على فم ثلاثة شهود تقوم الكلمة (تث ١٩ :١٥+مت ١٨ :١٦+٢كو١٣ :١) وبعد ذكر الآب والابن والروح القدس لابد من ذكر الكنيسة لأنه «حيثما يوجد الثالوث توجد الكنيسة» (٢٥) .

كما تطرق ترتليان إلى الحديث عن سر المسحة المقدسة (٢٦) ، فيقول «عندما نخرج من الجرن نمسح كلياً بالمسحة المقدسة» وهذا طقس قديم عندما كان الكاهن يمسح بزيت منذ أن مسح موسى هارون ودعى «مسيح» من كلمة «مسحة» ، وهكذا نحن نمسح جسدياً لكن الفاعلية روحية ، بنفس الطريقة كما أن فعل التعميد نفسه جسدى لكن الفاعلية روحية بغسلنا من خطايانا .

ورأى ترتليان فى رف روح الله على المياه رمزاً للمعمودية ، كما رأى فى الحمامة التى أرسلها نوح من الفلك بعد الطوفان

رمزاً للروح القدس الذى يحل على الإنسان بعد خروجه من الماء:
«كما أنه بعد الطوفان الذى به تنقى العالم القديم ، أى بعد معمودية هذا العالم ، أعلنت الحمامة ـ التى ارسلت من الفلك وعادت ومعها غصن زيتون ـ أن السلام قد صار على الأرض ، كذلك على المستوى الروحى ، تنزل حمامة الروح القدس على الأرض أى جسدنا عندما يخرج من جرن المعمودية متطهراً من خطاياه العتيقة ، لكى تأتى بسلام الله من أعلى السموات إلى حيث الكنيسة التى كان الفلك رمزاً لها» (٢٧) .

كذلك اعتبر ترتليان أن عبور بنى اسرائيل للبحر الأحمر كان رمزاً للمعمودية ، فكما كان اليهود تحت عبودية فرعون الوثنى وتحرروا منه وخلصوا بهلاكه فى مياه البحر الأحمر ، كذلك الموعوظ يظل تحت عبودية الشيطان حتى يتحرر بهلاكه فى مياه المعمودية:

«عندما خلص الشعب من قوة ملك مصر بعبورهم المياه وتركهم مصر بارادتهم ، أهلكت المياه الملك وكل جيشه ، فأى رمز للمعمودية يمكن أن يكون أوضح من ذلك؟ فالشعب خلص من العالم بالماء ، والشيطان الذى كان يستعبدهم حتى ذاك الحين

تركوه خلفهم هالكاً فى الماء» [٢٨] .

وايضاً تحولت المياه من المرارة إلى الحلاوة بعصا موسى ، وبحسب ترتليان هذه العصا كانت المسيح شجرة الحياة الذى استعاد ما قد تمرر وتسمم إلى مياه المعمودية ، كذلك رأى أن المياه التى نبعت لشعب اسرائيل من الصخرة كانت رمزاً للمعمودية لأن الصخرة كانت المسيح .

كما شرح ترتليان كيف أكد مخلصنا على أهمية الماء ، فقد اعتمد فى الماء ، وأول معجزاته فى قانا الجليل كانت بالماء ، وهو يدعو العطاش إلى الماء الحى ، وفى حديثه عن المحبة يتحدث عن كأس الماء ، وسار على المياه وعبر البحر ، بل وفى آلامه يجد ترتليان شهادة للمعمودية ، ففى تسليمه نجد الماء ، تشهد على ذلك يدى بيلاطس ، وفى جراحاته نجد الماء الذى خرج من جنبه ، تشهد على ذلك حربة الجندى .

ورداً على منْ يقولون أن المعمودية غير ضرورية للخلاص ، بحجة أن ابراهيم آمن فقط بالله فحسب له براً ، يجيب ترتليان قائلاً [٢٩] انه قبل تتميم الفداء كان الخلاص بالإيمان فقط ،

لكن بعد الفداء ، لابد للإيمان بميلاد الرب وآلامه وقيامته أن ينال الختم السرائرى ، وقد وضع الرب قانون المعمودية وضروريتها إذ يقول «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت٢٨ :١٩) وايضاً «إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو٣ :٥) وهذا القول يربط بين الإيمان والمعمودية ويجعلها حتمية للخلاص ، ولذلك بولس ايضاً بعد أن آمن اعتمد ، وهذا هو معني الوصية التى قالها له الرب عندما فقد بصره «قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل» (أع٩ :٦) .

وبجانب جرن المعمودية المقدس ، يعلم ترتليان بأن هناك جرن ثان من الدم قال عنه الرب «لى صبغة اصطبغها» بينما كان قد اعتمد فعلاً ، لأنه قد أتى «بماء ودم» (١يو٥ :٦) كما كتب يوحنا الحبيب ، كى يعتمد بالماء ويتمجد بالدم ، وقد خرجت هاتان المعموديتان من جنبه الجريح ، كى هؤلاء الذين يؤمنون بدمه يغتسلون بالماء ، وهؤلاء الذين اغتسلوا فعلاً بالماء يشربون دمه ، فمعمودية الاستشهاد تحل محل حميم ماء المعمودية عندما لا يكون الإنسان قد نالها بعد [٣٠] .

وينصح ترتليان أنه يجب ألا تتم المعمودية بتعجل بل بتأنى ، لأنه قيل «لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم أمام الخنازير» (مت٧:٦) وايضاً «لا تضع يداً على أحد بالعجلة ولا تشترك فى خطايا الأخرين» (١تيمو٥:٢٢) .

ولابد لمن يستعدون لنوال نعمة المعمودية المقدسة أن تكون لهم قوانين صلوات وأصوام وأسهار ، ولابد أن يعترفوا بكل خطاياهم السابقة استعداداً لنوال هذا السر .

وينصح الموعوظين انه كما خرج ربنا بعد معموديته ليُجرب ، كذلك هم ايضاً بعد أن يخرجوا من جرن المعمودية يجب أن يرفعوا أياديهم للصلاة فى بيت أمهم الكنيسة ويطلبوا مع أخوتهم من الله الآب أن يمنحهم عطاياه .

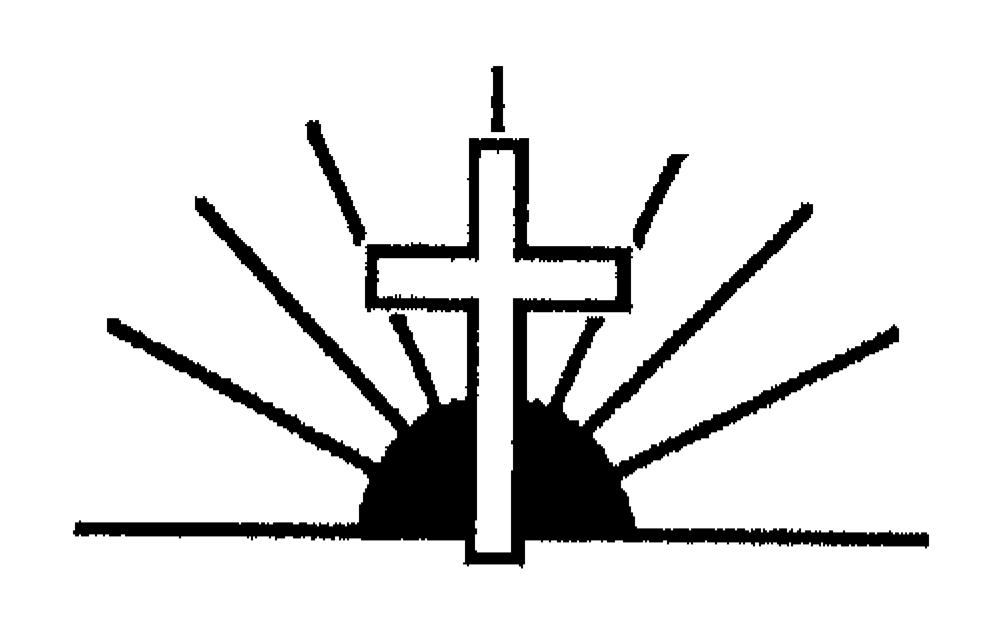
٦) الإفخارستيا

فى حديثه عن الأسرار الثلاثة : المعمودية ـ الميرون ـ الافخارستيا ، وتأثيرها على النفس ، يشرح ترتليان أن الجسد يغسل لكى تتطهر النفس ، والجسد يُمسح كى تتقدس النفس ، والجسد

يُختم كى تتقوى النفس ، والجسد يتغذى على جسد ودم المسيح كى تنمو النفس فى الله (٣١) ، والإنسان التائب يأكل طعامه فى بيت أبيه (٣٢) .

كما وتحدث عن السمة الذبيحية للإفخارستيا ، ويرى فى هذا السر وتقديسه إنطباقاً وتنفيذاً لكلام الرب فى سر التأسيس عندما أخذ خبزاً وحوله إلى جسده وأعطاه لتلاميذه قائلاً «هذا هو جسدى» (٣٣) .

وكان ترتليان مقتنعاً تماماً بالحضور الحقيقى للجسد والدم ، ولذا كان يهاجم الهراطقة اتباع مرقيون لأنهم ينكرون حقيقة جسد المسيح المصلوب ، ومع ذلك يستمرون فى إقامة الخدمات الإفخارستية ، فلو لم يكن هناك جسد حقيقى على الصليب لما أمكن أن يكون هناك جسد حقيقى فى الإفخارستيا (٣٤) .



٧) الماريولوچى

فى اهتمامه بالدفاع عن الناسوت الحقيقى للمسيح ، أكد ترتليان على أن جسد رب المجد لم يكن جسداً سمائياً لكنه وُلد حقاً من جسد السيدة العذراء ، لدرجة أنه يرفض عقيدة دوام بتولية السيدة العذراء فى الميلاد وبعد الميلاد ، وهنا كان إنحرافه الفكرى والإيمانى إذ يقول «رغم أنها كانت عذراء عندما حبلت بـه ، لكنها كانت زوجة عندما ولدته» (٣٥) .

ويظن أن «أخـوة الرب» هم أبناء العـذراء مـريم بحـسب الجسد (٣٦) ، وقد رفض چيروم فكر ترتليان هذا واستنكره قائلاً «أما عن ترتليان فليس لدى شئ أخر أقوله سوى انه لم يكن إنساناً من الكنيسة» (٣٧) .

كان ترتليان يرفض بدعة الدوسيتيين *Docetes* أو الظهوريين ، وكان يظن أن القول بدوام بتولية العذراء ما هو إلا تأكيد على القول بأن جسد المسيح لم يكن جسداً بشرياً حقيقياً ، وانه حبل به وولد فقط بحسب الظاهر .

ومريم العذراء بالنسبة لترتليان هى حواء الثانية ، فبينما كانت

حواء الأولى لا تزال عذراء ، تسللت كلمة الشرير إلى أذنيها ونتج عنها الموت ، كذلك كان لابد أن كلمة الله يحل فى نفس عذراء ليقيم الحياة ، لكى ما أفسده هذا الجنس (المرأة) يخلص عن طريق هذا الجنس عينه ايضاً ، وكما صدقت حواء الحية ، كذلك أمنت مريم بما قاله لها الملاك [٣٨] .

٨) التوبــة

للعلامة ترتليان أهمية خاصة فى شرح قوانين التوبة المسيحية الأولى ، واستمر تأثيره لعدة قرون من الزمن ، وكان أول كاتب يقدم لنا صورة واضحة عن إجراءات وشكل التوبة ، وهو يؤكد أن هناك غفراناً ثانياً للخطية بعد المعمودية والذى به يعود الخاطئ إلى حالة النعمة مرة أخرى .

وفى توبة الخاطئ تسنده الكنيسة بصلواتها ، وكان ترتليان دائم التأكيد على أهمية هذا الملمح الجوهرى فى عملية التوبة ، ويرى أن الخطوة الأخيرة فى التوبة هى الحِل الكنسى من الأب الأسقف [٣٩] الذى يملك ايضاً سلطان الحرمان ، وبصفة عامة ،

أى إنسان خاطئ ـ وحتى أردأ الخطاة ـ يمكن أن ينال المغفرة ، ويفرق ترتليان بين الخطايا الجسدية والخطايا الروحية ، أى بين الخطايا التى تقترف فعلاً وبين الخطايا التى يشتهيها الإنسان فقط (٤٠) ، ويعلم ترتليان أن كلا النوعين يقع تحت دينونة الله ، فقد قال رب المجد أنه ليس فقط الذى يزنى فعلاً هو فقط زانى بل والذى يشتهى ايضاً ، لكن كل هذه التعديات يمكن أن تغفر (٤١)

والله نفسه الذى وضع العقوبة والدينونة ، هو نفسه يهب الغفران عن طريق التوبة «توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الأثم مهلكة» (حز١٨ :٣٠) فالتوبة هى «الحياة» (٤٣)

ولا يستقصى العلامة ترتليان أى خاطئ من نوال نعمة التوبة الثانية «السموات والملائكة تكون هناك ، تفرح بتوبة الإنسان ، أه أيها الخاطئ فلتفرح وتتهلل» (٤٣) .

وايضاً يقدم أمثلة الدرهم المفقود والخروف الضال والابن الضال كتشبيهات توضح مدى فرح الله بالإنسان التائب ، ويستشهد برؤيا يوحنا اللاهوتى والرسائل إلى الكنائس الخمس ويذكر خطايا كل

منهم مؤكداً أن الروح القدس بالرغم من ذلك يهب هذه الكنائس فرصة للتوبة (٤٤) .

ويؤكد ترتليان أن الاعتراف بالخطية يهونها ، بقدر ما إن إخفائها يكبرها ، لأن الاعتراف قرين الرضى ، والخفاء هو قرين التمرد.

ولكن لا يكفى فقط الاتيان بالتوبة داخل الضمير ، بل يلزم ايضاً التعبير عنها بالعمل ، وهذا العمل يعبر عنه عادة بالاصطلاح اليونانى $E\xi o\mu o\lambda o\gamma\eta\sigma\iota\sigma$ أى «الاعتراف» ، وبه نعترف بخطايانا للرب ، ليس لأنه لا يعرفها بل لأجل أن ننال الرضى بالاعتراف ، وبالاعتراف تنشأ التوبة ، وبالتوبة نسكن غضب الله .

فالاعتراف هو النظام الذى يُلزم الإنسان أن يسجد ويتضع إذ يفرض عليه حتى فى أسلوب لبسه وطعامه سلوكاً معيناً يجتذب إليه الرحمة... لهذا حينما يضع الإنسان نفسه يرفعها الله ، وحينما يتهمها ، يبررها الله ، وحينما يدينها ، يحلها الله ، و**«بقدر ما ترفض أن تشفق على نفسك بقدر ما يشفق الله عليك»** .

٩) الصلاة الربانية

عرض لكتاب "الصلاة" (٤٥)

يؤكد ترتليان على تعليم الإنجيل بخصوص مبدأ الصلاة فى الخفاء وايضاً الثقة فى أن الله ضابط الكل حاضر فى كل مكان يرى ويسمع من يصرخ إليه ، ويعلّم أننا يجب ألا نظن أننا نقترب من الله بكثرة الكلمات ، ويشرح الصلاة الربانية التى يرى فيها خلاصة الإنجيل كله .

أبانا الذى فى السموات

تبدأ الصلاة بشهادة لله وايضاً بجعالة للإيمان عندما نقول «أبانا الذى فى السموات» لأن فى قولنا هذا اعتراف بإيماننا بالله ، وفيه ايضاً جعالة هذا الإيمان الذى هو استحقاقنا لنقول هذه المناداة ، ومكتوب «أما كل الذى قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه» (يو١ :١٢) وقد علم رب المجد يسوع كثيراً عن أبوة الله لنا بل واعطانا وصية «لا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات» (مت٢٣ :٩) فبهذه الصلاة نطيع الوصية .

وقولنا «أبانا» يتضمن فى وقت واحد واجب بنوى من أبناء نحو أبيهم وايضاً شعور بمخافة ومهابة لله ، وايضاً فى مناداتنا للآب ندعو الابن لانه قال «أنا فى الآب والآب فىّ» .

ويشير العلامة ترتليان إلى الكنيسة هنا ، ففى دعائنا للآب والابن ندعو ايضاً أمنا الكنيسة .

ليتقدس اسمك

اسم الله لم يُعلن لأحد ولا حتى لموسى الذى سأله عنه (خر٣ :١٣-١٦) أما نحن فقد أعلنه لنا الله الابن إذ يقول «قد أتيت باسم أبى» (يو٥ :٤٣) وبوضوح أكثر يقول «أنا أظهرت اسمك للناس» (يو١٧ :٦) لذلك نحن نصلى أن يتقدس هذا الاسم ، وليس معنى هذا أننا نتمنى أن يصير اسم الله مقدساً ، لانه هو مقدس بذاته ، هو الذى يقوم حوله الشاروبيم قائلين «قدوس قدوس قدوس» بغير إنقطاع ، ومن المعروف أنه يليق بالله أن يُبارك فى كل زمان ومكان (مز١٠٣ :٢٢) بسبب تذكرِ عطايا الله الصالحة للإنسان ، وهذه الطلبة «ليتقدس اسمك» تُعطى للإنسان بركة وتعده لشركة الملائكة وهو هنا على الأرض فيحفظ

عن ظهر قلب تسبيحهم غير المنقطع «قدوس قدوس قدوس» .

وتعنى ايضاً هذه الطلبة عند ترتليان أن يتقدس هذا الاسم فينا لأننا نحن فيه ، ويتقدس فى كل إنسان لا تزال نعمة الله تنتظره ، كى نطيع الوصية «صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (مت٥ :٤٤) فنصلى حتى لأجل أعدائنا .

لتكن مشيئتك

كما فى السماء كذلك على الأرض

بحسب ترتليان لا يعنى هذا أن هناك قوة تمنع تنفيذ مشيئة الله ، لكن نحن نصلى لكى تكون مشيئة الله منفذة ومطاعة فى الكل ، ويفسر ترتليان هذه الأية تفسيراً رمزياً فالسماء هى الروح والأرض هى الجسد ، وبذا يكون معنى الطلبة هو أن تكمل مشيئة الله فى الروح كما فى الجسد ايضاً .

ومشيئة الله هى أن نسير بحسب وصاياه لذلك نحن نصلى ونتضرع إليه لكى يهبنا معونة وقدرة على تتميم مشيئته .

وهناك ايضاً مشيئة الله التى تممها مخلصنا الصالح بكرازته

وعمله وباحتماله ، لأنه هو نفسه أعلن أنه لا يصنع مشيئته بل مشيئة الآب ، لذلك من المؤكد أن كل ما صنعه كان مشيئة الله الآب ، وهكذا نحن المسيحيين مدعوون الآن لنكرز ونعمل ونحتمل حتى الموت ، ولكننا نحتاج لمشيئة الله لتتميم هذه الواجبات .

وفي قولنا «لتكن مشيئتك» نتمنى الخير لأنفسنا لأنه ليس هناك أى شر فى مشيئة الله ، وبهذه الصلاة ندرب أنفسنا على الصبر والإحتمال ، فالمخلص نفسه عندما أراد أن يعلمنا عن ضعفات الجسد وحقيقة الألم قال «يا أبتاه إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتى أنا بل إرادتك» (لو٢٢ :٤٢) فسلم نفسه لمشيئة الآب ليعلمنا الصبر اللائق .

ليأت ملكوتك

يربط ترتليان بين «لتكن مشيئتك» وبين «ليأت ملكوتك» فالطلبة الأخيرة ايضاً تعنى «ليأت فى داخلنا» إذ نطلب أن يأتى ملكوت الله فى داخلنا .

ويحث ترتليان قراءه على التضرع لأجل مجئ الملكوت سريعاً ، ويذكر نفوس الشهداء الأبرار التى تصرخ من تحت المذبح إلى الرب تطلب الإنتقام من الساكنين على الأرض (رؤ ٦ :١٠) ويرى أنها لا تطلب الإنتقام إلا لأنه مرتبط بالطبع بنهاية الدهر ومجئ الملكوت .

ففى الصلاة الربانية نطلب مجئ الملكوت الذى لأجله نتألم ونصلى ونصبر .

خبزنا كفافنا أعطنا اليوم

رتبت الحكمة الإلهية الصلاة ترتيباً رائعاً ، فبعد الأمور السمائية «اسم» الله ، و«مشيئة» الله و، «ملكوت» الله ، تفسح مكاناً للاحتياجات الأرضية لأن الرب قال «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم» (مت٦ :٣٣) .

ثم يفسر ترتليان هذه الطلبة تفسيراً روحياً ، فيقول أن المسيح هو خبزنا ، لانه هو الحياة ، والخبز هو الحياة ، وهو نفسه قد قال «أنا هو خبز الحياة» (يو٦ :٣٥) و«لأن خبز الله هو النازل من

السماء الواهب حياة للعالم» (يو٦ :٣٣) ، وهو يقدم لنا جسده ايضاً فى صورة خبز «هذا هو جسدى» (مت٢٦ :٢٦) وهكذا عندما نطلب «خبزنا كفافنا» إنما نطلب أن نسكن ونثبت دوماً فى المسيح ونتحد مع جسده .

اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن ايضاً للمذنبين إلينا

من المناسب بعد التأمل فى قدرة الله الكلية أن نتوسل بعد ذلك إلى مراحمه ورأفاته فنقول «اغفر لنا ذنوبنا» ويرى ترتليان أنها طلبة للمغفرة مليئة بالاعتراف ، لأن من يطلب الغفران إنما يعترف بالذنب اعترافاً تاماً .

وهذه هى التوبة التى ترضى الله ويفضلها عن موت الخاطئ ، ويذكر ترتليان هنا مثل العبد الذى تحنن عليه سيده وأطلقه وترك له دينه ، أما هو فلم يرحم رفيقه ، لذلك سلمه سيده إلى المعذبين حتى يوفى كل ما كان عليه (مت١٨ :٢١-٣٥) كما يذكر إجابة الرب على بطرس عندما سأله هل يغفر لأخيه سبع مرات:

«لا أقول إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات» (مت ١٨: ٢١-٢٢) .

لا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير

من أجل تكملة هذه الصلاة القصيرة ، أضاف رب المجد «لا تدخلنا في تجربة» لكي لا يكون قد طلب فقط لأجل مغفرة الخطايا التى اقترفت فعلاً ، بل وايضاً لأجل الهروب والنجاة من إحتمالات الخطية .

واهتم ترتليان فى شرحه لهذه الآية أن يوضح اننا نطلب ألا ندخل فى تجربة على يد الشرير المُجرب ، لكن هذا لا يعنى أن الرب يجرب كما لو كان يجهل إيمان الناس أو يريد سقوطهم ، وعندما أمر الله ابراهيم أن يقدم ابنه اسحق ذبيحة ، لم يكن ذلك لكي يجربه ، بل لكي يثبت إيمانه ، ولكي يقدم لنا فيه مثالاً لتلك الوصية التى تعلمنا ألا نخضع لأى عواطف أو مشاعر أقوى من محبتنا لله ، وتتفق صلاتنا هذه مع قول الرب «اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة» (لو٢٢: ٤٠) .

خاتمــة

في ملخص قليل الكلمات هكذا ، اجتمعت أقوال الأنبياء وأناجيل الرسل وعظات وأمثال الرب ، وتحقق العديد من الوصايا:

تكريم وتوقير الله فى «**أبانا**»

شهادة الإيمان فى «**اسمك**»

تقديم الطاعة فى «**مشيئتك**»

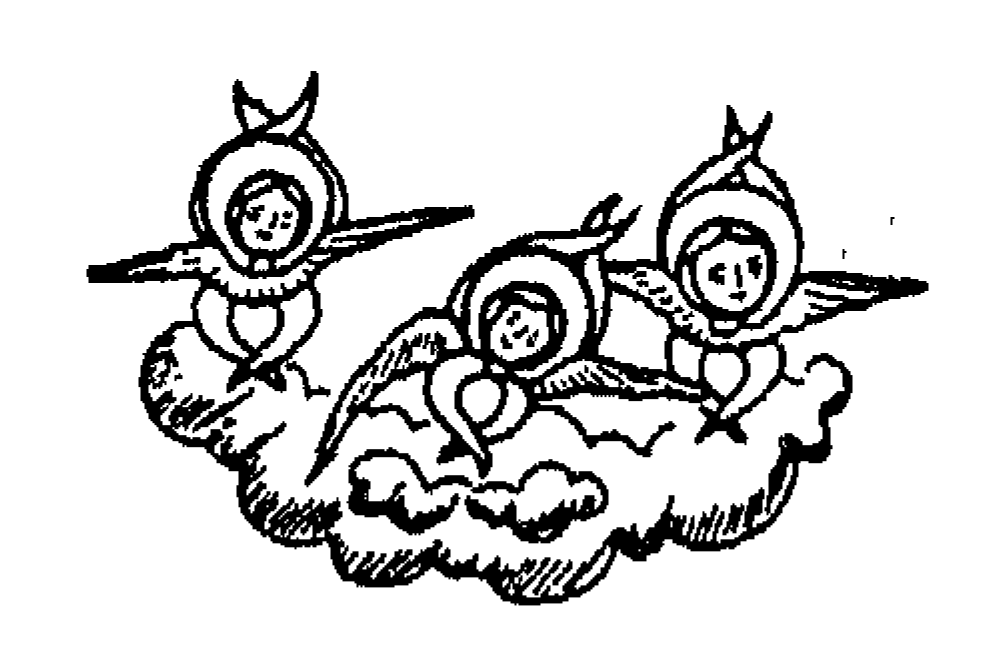
تذكر الرجاء فى «**ملكوتك**»

طلب الحياة فى «**خبزنا**»

الاعتراف الكامل بالذنوب فى «**اغفر**»

الخوف من الدخول فى تجارب «**لا تدخلنا**»

ويقول ترتليان: «أى عجب فى هذا؟ فالله وحده يمكنه أن يعرف كيف يريد أن يصلى إليه الإنسان» (٤٦).



١٠) ذبيحة الصلاة (٤٧)

الصلاة هى الذبيحة الروحية التى أبطلت كل الذبائح القديم «لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب ، اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات ، وبدم عجول وخرفان وتيوس ما اسر حينما تأتون إلىّ لتظهروا أمامى ، من طلب هذا من أيديكم؟ (أش١ :١١)... إذاً ما يطلبه الله يوصينا به الإنجيل «تأتى ساع وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له ، الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا» (يو٤ :٢٣-٢٤) .

فنحن العابدين الحقيقيين الذين نصلى بالروح نقدم الصلاة التى يسميها ترتليان «ذبيحة روحية لائقة بالله» ، مكرسة من كل القلب ، مليئة بالإيمان ، كاملة فى النقاوة ، طاهرة عفيفة ، متوجة بإكليل المحبة ، لكن يجب أن تتلازم الأعمال الصالحة مع ترتيل المزامير والتسابيح لننال كل الأشياء من الله .

ويعقد ترتليان مقارنة بين الصلاة فى العهد القديم والصلاة فى

ـهد الجديد ، ففى العهد القديم كانت الصلاة تحرر من النار (دا ٣) ومن الوحوش (دا ٦) ومن المجاعة (١مل١٨) ومع ذلك لم ـن قد أخذت شكلها وصيغتها النهائية من المسيح (كما هو حال مع الصلاة الربانية) فكم بالأحرى جداً الصلاة المسيحية ، ى لا تأتى بالملاك وسط النيران ولا تسد أفواه الأسود ولا تعطى جوعى خبز شعير (٢مل٤ : ٤-٤٤) لكنها تهب صبراً وقدرة ى إحتمال الألم والأحزان .

فى الأيام السابقة كانت الصلاة ايضاً تجلب الأوبئة وتشتت جيوش الأعداء ، أما الآن فصلاة البر ترفع غضب الله ، وتطلب لأجل الأعداء ولأجل المضطهدين ، ويقول ترتليان «وهل من عجب أن الصلاة تنزل أمطار السماء وقد أنزلت يوماً نيرانها؟» .

إن الصلاة هى الوحيدة التى تصارع الله (مثل صراع يعقوب ع الله) ، لكن مخلصنا أراد ألا تكون الصلاة لأجل الشر ، بل وهبها كل قدرتها لأجل فعل الصلاح .

ويلخص ترتليان عمل الصلاة فيقول أن الصلاة تسترد النفوس التى ذهبت فى طريق الموت ، تقوى الضعيف ، تشفى المريض ،

تطهر من تتسلط عليهم الأرواح النجسة ، تفتح قضبان السجن ، تفك قيود البرئ ، وايضاً تغسل الخطايا ، ترد التجارب ، تطفئ الإضطهاد ، تبطل الظلم ، تعزى صغار النفوس ، تحمى المسافرين ، تهدئ الأمواج ، تغذى الفقير ، ، تقيم الساقط وتسند من سيسقط وتثبت القائم ، فهى درع الإيمان ضد العدو الذى يراقبنا من كل ناحية ، لذلك لابد أن نتسلح بسلاح الصلاة بالنهار والليل حافظين على الدوام قوام جنديتنا بأسلحة الصلاة .

ويختم ترتليان كتابه عن الصلاة بقوله :

«كل مخلوق يصلى: الملائكة يصلون ، وحتى بهائم الحقل ووحوش الغابة تصلى وتحنى الركب حينما تخرج من أوجارها ومغائرها ، ثم تنظر إلى السماء وهى مبتهجة ، ليس بأفواه صامتة بل كل واحد منها يخرج صوته برعشة ريح زفيره حسب ما وهب من صوت ، وحتى طيور السماء حينما تغادر أوكارها ترتفع نحو السماء باسطة أجنحتها كشبه صليب فى السماء وهى تخرج من حناجرها ما يمكن أن يكون صلاة... وماذا يمكن أن يكون أكثر من هذا ليشعرنا بأهمية الصلاة؟ الرب نفسه صلى! هذا الذى له القوة والكرامة والمجد إلى أبد الدهور كلها آمين» .

١١) إلى الشهداء

عرض لكتاب "إلى الشهداء" (٤٨)

يخاطب ترتليان المعترفين المسجونين استعداداً لنوال إكليل الاستشهاد ، ويقول لهم أنه بجانب المعونة التى تقدمها لهم أمهم الكنيسة وأخوتهم وخدمتهم لإحتياجاتهم الجسدية ، يريد هو ايضاً أن يقدم بعض المساهمة لأجل مساندتهم روحياً ، لأنه ليس حسناً أن الجسد يُطعم بينما الروح تتضور جوعاً ، وبإتضاع يقول لهم العلامة ترتليان ان هذا لا يعنى انه سيعلمهم ، بل كمثل المراقبين والمدربين الذين يحمسون المصارعين ، واحياناً تأتى من المشاهدين العاديين أفضل النصائح .

ويوصيهم أولاً وقبل كل شئ ألا يحزنوا الروح القدس الذى دخل السجن معهم ، لانه لو لم يكن قد دخل معهم السجن ، لما كانوا هم مسجونين فيه الآن ، لذلك يحثهم على بذل كل جهد كى لا يحزنوا الروح ، وأن يتركوه يقودهم إلى حيث ربنا .

ويعتبر العلامة الأفريقى أن السجن هو مسكن الشيطان حيث

تقيم أسرته ، لكن الشهداء دخلوه لكى يزعزعوا هذا الشرير ويهزموه فى مسكنه ، أى فى عقر داره ، وكما هزموه خارج السجن كذلك يجب ألا يعطوه أى فرصة ليقول «إنهم الآن فى قبضتى وسوف أجربهم برذيلة الكراهية والبغضة ، وبالاختلاف وعدم الإتفاق بينهم» لذلك يجب أن يقاومه الشهداء فيهرب من أمامهم ويغرق فى هاويته ، ويؤكد عليهم ترتليان ألا يجعلوه ينجح فى سعيه لصنع الخلاف فيما بينهم وإبعاد روح الوحدة من وسطهم ، بل يتسلحوا ضده بالاتفاق والوحدة ، «لأن السلام فيما بينكم هو حرب ضد الشيطان» .

يعلمهم ترتليان ايضاً ألا ينزعجوا لكونهم انفصلوا عن العالم ، ويعقد مقارنة بين العالم والسجن فيقول أنهم خرجوا من السجن بدلاً من أن يدخلوه ، فالعالم فيه ظلمة أعظم من ظلمة السجن تعمى قلوب الناس ، العالم يقيد الإنسان بأثقل القيود ، العالم ملئ بأردأ الأدناس أى الشهوات والأهواء ، العالم يضم عدداً أكبر من المجرمين ، واخيراً العالم ينتظر قضاء الله وليس قضاء الحاكم .

لذلك يجب أن يعتبر هؤلاء الشهداء أنهم قد انتقلوا من السجن إلى مكان آمن أى من العالم إلى الفردوس ، وإن كان

سجنهم مظلم ، لكنهم هم أنفسهم نور ، إن كان به قيود ، لكن الله حررهم ، إن كان به روائح كريهة ، لكنهم هم أنفسهم رائحة حلوة ، إن كانوا فى السجن ينتظرون يومياً مجئ القاضى ، لكنهم سيدينون القضاة أنفسهم .

ويستطرد ترتليان أنه ربما يكون منهم منْ حزن وتحسر واشتاق لمباهج العالم ومسراته ، ولكن المسيحى الحقيقى قد جحد العالم ، أما فى السجن فقد جحد سجناً ايضاً ، ولا يهم فى أى مكان فى العالم يكون المسيحى لأنه ليس من هذا العالم ، وإذا فقد بعض من مسرات الحياة ، فلابد أن يعرف أن هذه هى التجارة الصحيحة أى أن يكون هناك خسارة حاضرة كى يكون الربح فيما بعد أعظم .

ويبين ترتليان فائدة السجن ونفعه للإنسان المسيحى ، ففيه ليست هناك ضرورة لأن ينظر الإنسان لألهة غريبة ، ولا لرؤية صورهم ، ولا للاشتراك فى الأعياد الوثنية ، ولا ينزعج من روائح الإحتفالات الوثنية ، ولا تؤلمه ضوضاء العروض والمسرحيات العامة ولا جنون المحتفلين ، ففى السجن يكون الإنسان حراً من أسباب الخطية ، من التجارب ، ومن الذكريات الدنسة ، فالسجن للمسيحى مثل البرية للنبى ، وربنا نفسه كان يقضى الكثير من

وقته فى خلوة كى تكون له حرية أكثر للصلاة ، وايضاً فى خلوة وعلى جبل أظهر مجده لتلاميذه (التجلى) لذلك كان يدعوهم ترتليان ألا يسمونه «سجناً» بل «مكان للراحة والخلوة» ، فرغم أن الجسد مسجون ، إلا أن كل الأمور متاحة للنفس ، وكلما سارت النفس فى الطريق المؤدية لله ، كلما كانت خارج القيود ، فالقدم لا تشعر بالقيود متى كان العقل فى السموات .

ويشبه ترتليان الإنسان المسيحى بالجندى ، ويقول أن الجندى لا يخرج إلى القتال من حجرته المريحة ، بل ينام فى الخيام الضيقة حيث لابد أن يكون فيها كل نوع من القسوة والشدة والضيق ، بل وحتى فى أزمنة السلم ، يتدرب الجنود على الحرب بالأعمال الشاقة والحياة فى ظروف صعبة ، والغرض من هذه الأتعاب هو أن لا تجد الأجساد أو الأذهان صعوبة عندما تضطر للإنتقال من الظل إلى الشمس ، أو من دفء الشمس إلى البرد «بالمثل أيها المباركون ، احسبوا كل شدة وضيقة تمر بكم أنها تدريب وتلمذة لقوى ذهنكم وجسدكم ، فأنتم ستجتازون جهاداً نبيلاً ، فيه الله هو المراقب والناظر ، وفيه الروح القدس هو مدربكم ، وفيه الجعالة إكليل أبدى من جوهر ملائكى ، مواطنة

فى السماء ومجد أبدى ، لذلك رأى سيدكم يسوع المسيح الذى مسحكم بروحه وقادكم إلى ساحة القتال ، انه حسناً ـ قبل يوم القتال ـ أن ينقلكم من الظروف المريحة إلى حياة صعبة كى تزداد قدرتكم» .

وهكذا ينظر ترتليان إلى السجن باعتباره مكاناً للتدريب ، فالمصارعون ايضاً يعزلون فى تدريب خاص كى تبنى قواهم الجسدية ويبعدون عن كل ترف وترفيه ، وكلما ازدادت أتعابهم فى التدريب كلما ازداد الأمل في انتصارهم ، كذلك الحال مع الإنسان المسيحى لأن الفضيلة تبنى بالأتعاب .

يقول ربنا «أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف» (مت٢٦ :٤١) لكن يجب ألا نخطئ فى فهم هذا القول بضعف الجسد ونستسلم لراحة خاطئة ، لانه قال أولاً أن الروح نشيط كى يُظهر أياً من الأثنين يجب أن يخضع للآخر ، فالجسد يجب أن يطيع الروح ، الضعيف يطيع الأقوى وينال منه قوة .

ربما يخاف الجسد من السيف الذى لا يرحم ، ومن الصليب المرفوع عالياً ، ومن غضب وشراسة الوحوش المفترسة ، من ألسنة

النار الملتهبة ، من العذابات البشعة ومن مهارة الجلادين فى التعذيب ، لكن من الناحية الأخرى ، فلتضع الروح أمامها هى والجسد كيف أن هذه الأمور رغم أنها مؤلمة للغاية إلا أن كثيرين من أهل العالم احتملوها واشتاقوا إليها لا لشئ إلا لتحقيق شهرة أو نوال مجد ، ليس فقط من الرجال بل ومن النساء ايضاً ، ثم يورد ترتليان أمثلة لهؤلاء الذين ضحوا بحياتهم لأجل أموراً فانية .

١٢) الصبر

عرض لكتاب "الصبر" (٤٩)

كان ترتليان يهتم بصفة خاصة بفضيلة الصبر ، ولذا أفرد لها كتاباً كاملاً «عن الصبر» الذى شرح فيه أن الصبر عند الإنسان المسيحى هو تهذيب سمائى للنفس البشرية .

ويقدم ترتليان لنا رب المجد كنموذج فريد للصبر ، فقد قبل أن يُولد وانتظر مدة الحمل فى بطن أمه واحتمل النمو التدريجى بصبر ، وبعدما تقدم فى القامة لم يسرع ويعلن عن نفسه ، وأطال أناته على الخطاة الذين أساؤا إليه ولم يستفيدوا من لطفه وصبره ،

كما أن كرازته تبين كيف انه اظهر تواضعاً واحتمالاً فى السعى وراء الخطاة وزيارتهم فى بيوتهم وغسل أقدامهم ، بل انه لم يتحامل على المدينة التى رفضت دعوته بينما أراد التلاميذ أن تنزل نار من السماء لتهلكها ، ولم يستنكف أن يبقى معه يهوذا الخائن الذى أسلمه ، ولكن لم يحتمل صبر الرب إندفاع بطرس حينما قطع أذن ملخس عبد رئيس الكهنة فتقدم برحمته وشفاه ، ثم بصبر عظيم جداً احتمل الضرب والإهانة والبصق .

وبحسب هذا العلامة الإفريقى ، كل من يريد الإقتداء بالرب والخضوع لمشيئته ، عليه أن يجتهد فى الصبر ، ليس لأننا نخشى قسوته وعقابه ، بل لأننا بالأكثر نترجى صلاحه .

أما رذيلة عدم الصبر فهى ـ بحسب ترتليان ـ من الشيطان ، الذى لم يحتمل منذ البدء أن يرى الإنسان وقد أعطاه الله السلطان على كل خلائقه ليخضعها ويتسلط عليها ، فحزن وغضب وازداد بغضاً للإنسان ، ومنذ ذاك الحين وهو عدو الإنسان الأول ، وأخذ يستخدم سلاح عدم الصبر ليوقع به الإنسان كى ينحرف ويخطئ ، ولو كانت حواء قد تمسكت بالصبر إلى المنتهى ما كانت سقطت قط ، ولو كانت صبرت بعد أن أكلت ولم تغوى

آدم لما سقط هو الأخر ، وقايين ابنهما لو كان احتمل بتعقل وبصبر رفض الرب لتقدمته لما قتل أخاه .

ويرى ترتليان أن عدم الصبر هو السبب الأول وراء سائر الخطايا ، فالشر هو عدم الصبر للخير ، وكل عدم حياء هو عدم صبر للحياء ، وكل عدم أمانة هو عدم صبر للأمانة ، وكل فجور هو عدم صبر للتقوى ، وكل قلق هو عدم صبر للهدوء ، وأى إنسان يرتكب جريمة بدافع العداوة أو بغرض مكسب ما ، لابد أنه كان يفتقر إلى الصبر لمقاومة الغضب أو الشهوة ، ومهما تكن الدوافع الشريرة فإنها لا يمكن أن تنتج أثاراً رديئة إن كنا نقاومها بصبر .

ويُرجع ترتليان خطايا بنى اسرائيل إلى افتقارهم للصبر ، فقد نسوا ذراع الله القوية وطلبوا من هارون ألهة ليعبدوها لأنهم لم يصبروا على غياب موسى فى لقائه مع الرب ، وتذمروا على الرب رغم نزول المن لإطعامهم وتفجر المياه من الصخرة لأنهم لم يصبروا أو يحتملوا العطش لمدة ثلاثة أيام ، ورفعوا أياديهم على الأنبياء إذ لم يصبروا على طاعتهم ، ثم على الرب نفسه إذ لم يصبروا على رؤيته ، ولو كان لهم الصبر لخلصوا .

ويربط ترتليان بين الصبر والإيمان ، فابراهيم آمن بالله وحسب له براً ، ولكن صبره استعلن بالإيمان عندما قبل أمر الله أن يذبح ابنه، وأطاع بصبر ولذلك باركه الله لأنه كان صبوراً ، فاستنار ابراهيم بالصبر والإيمان وتباركت الأمم بنسله أى بالمسيح ، ويشير ترتليان إلى وصية العهد القديم «عين بعين وسن بسن» ويشرح أن الشر كان يرد بالشر لأن الصبر لم يكن موجوداً بعد على الأرض ، أما الآن فيجب أن ننظر إلى صبر المسيح ولنعلم أن وصية المحبة هى أساس منهج الصبر كله .

ويتحدث ترتليان عن خبرة الصبر فى حياة الإنسان اليومية ، وعن حزن الإنسان متى فقد ميراث من أبائه ، رغم أن الكتاب المقدس يطلب منا فى كل صفحة تقريباً أن نحتقر أباطيل الدهر الحاضر ، بل وجاء الرب نفسه مثالاً لنا فعاش متجرداً من كل شئ ، ولكى يعيننا على فقدان الخيرات بصبر ، دعانا إلى حياة الفقر والكفاف ، وفى الواقع نحن لا نملك شيئاً على الأرض بل نحن وكلاء فقط على ما لنا ، فإن كنا نحزن على فقداننا ما ليس لنا ، نكون بذلك نشتهى ما لا يخصنا .

ومنْ يغضب لانه لم يحتمل بصبر خسارة ما إنما يخطئ

مباشرة إلى الله ، وهنا يدعو ترتليان القارئ للتأمل فى الخيرات التى من فوق لأن اقتناء الصبر لا يُقدر بالدهر الحاضر كله وما فيه ، ويتساءل عن كيف يمكن للإنسان الذى لا يحتمل بصبر خسارة نجمت عن سرقة أو إهمال أن يقدم الصبر من تلقاء ذاته وبلا تردد ، لانه إن كان الإنسان لا يحتمل قط أن يجرحه الآخر ، فهل سيرفع المشرط ويجرح نفسه؟ ويعتبر العلامة ترتليان أن الصبر مدرسة لتعليم الرحمة ، فالمرء يسهل عليه أن يُعطى حينما لا يخشى أن يفقد وإلا كيف سيطيع الوصية «من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك اترك له الرداء ايضاً» ؟

يجب أن يتحلى خادم المسيح بالصبر لانه مدعو لاحتمال الكثير لأجل الله ، وإن اثاره أحد بإعتداء ما يجب أن يتذكر وصية الرب «مَنْ ضربك على خدك الأيمن فحول له الآخر ايضاً» لأن صبره ينبغى أن يتغلب على ميله للشر .

كذلك عند فقد الأقرباء والأحباء يجب ألا يستسلم الإنسان للحزن كوصية الرسول «لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم» إذ بقيامة المسيح نؤمن ايضاً بقيامتنا التى من أجلها مات وقام ، فليس هناك ما يدعو للحزن لأننا متيقنون من قيامة الأموات ، وليس ما

يدعو لعدم الصبر على الحزن إن كنا نؤمن أن من غاب عنا لم يهلك ، إذ ليس هو موت بل إنتقال .

ويكشف ترتليان عن أحد الأضرار الأخرى لعدم الصبر وهو الرغبة فى الانتقام ، وكثيراً ما يجترئ المنتقم على الرب ويصمم على مضاعفة الشر ليثبت تفوقه على خصمه ، لكن الوصية تأمرنا بعدم مقابلة الشر بالشر مطلقاً لأن الأعمال المتشابهة تستحق مجازاة متشابهة ، وكيف يقدم الإنسان كرامته للرب ذبيحة ، إن كان يدعى إمكانية الانتقام لنفسه بذاته .

وعندما يوصى الرب «لا تدينوا لكى لا تدانوا» إنما يطلب منا الصبر لانه منْ ذا الذى يتجنب إدانة الأخرين إلا من لديه صبراً ليتخلى عن الإنتقام؟ أما منْ يدين غيره فقد وضع نفسه مكان الله الذى له وحده حق الدينونة .

إن تطويب الرب «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات» إنما يخص الصابرين ، إذ لن يكون مسكيناً بالروح إلا منْ كان متضعاً ، ولن يكون متضعاً إلا منْ يحتمل بصبر التنازل عن حقه أو يرضى بسرور إنكار ذاته .

ويطوب ترتليان هؤلاء الذين يذرفون الدموع فى أحزانهم ، ولذلك تعطى لهم وعود بالتعزية والفرح ، ويتسائل عمن يستطيع أن يحتمل ثقل التجارب بدون صبر؟

«طوبى للودعاء» «طوبى لصانعى السلام» تنطبق على الصابرين ، لانه لا يمكن أن يكون لغير الصابرين ميل للسلام ، والرب عندما يقول «افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات لأنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم» لا يعد بهذه الجعالة لمن لا يصبرون ، لانه ليس من يفرح بهذا الألم إلا من يستهين به وليس من يستهين به إلا من قد اقتنى الصبر .

وكيف يتمم الإنسان الوصية «اغفروا يغفر لكم» إن كان بسبب عدم الصبر يظل أسيراً لتذكر إساءة ما؟ ومن ذا الذى يغضب على أخيه ولا يضع قربانه على المذبح إلى أن يجد الصبر ويتصالح مع أخيه؟ وكيف نتمم الوصية «لا تغرب الشمس على غيظكم» ؟ إذاً غير مسموح لنا أن نظل ولو يوماً واحداً بدون فضيلة الصبر .

والصبر فضيلة يشترك فيها جميع السالكين فى طريق الخلاص

وهو يساعد على التوبة إذ ينتظر ويترجى ويطلب الخلاص لأولئك المجاهدين يوماً فيوماً فى حياة التوبة ، وفى نماذج التوبة التى قدمها الرب تتضح أهمية الصبر ، فالراعى يبحث بصبر ويجد فى طلب الخروف الضال ، وبينما لا يهتم عديم الصبر كثيراً بخروف واحد مفقود ، يحتمل الصبر الألم فى البحث عنه حتى يجده ويحمله على منكبيه ، وهذا هو ايضاً صبر الأب الذى يستقبل ابنه الذى ضل حتى يرجع ويلبسه ويغذيه ويلتمس له العذر لدى أخيه عديم الصبر والذى احتد غضبه عليه .

والمحبة التى هى رباط الكمال وكنز المسيحيين لا تقوم إلا على أساس الصبر ، والرسول يقول «المحبة تتأنى» وهذه الأناة تستمدها من الصبر ، والمحبة «لا تحسد» والحسد هو صفة عدم الصبر ، وهى «لا تتفاخر» إذ قد نالت إتضاعاً لما لها من صبر ، وهى «لا تنتفخ ولا تقبح» إذ أن هذا ليس من الصبر فى شئ ، وهى «لا تطلب ما لنفسها» بل تقبله بقدر ما ينبغى أن تكون نافعة للآخرين بصبر ، وهى «لا تحتد» لأن الاحتداد هو عدم الصبر عينه... «المحبة تحتمل كل شئ وتصبر على كل شئ» ، فلأن لها صبر ، لذلك «لا تسقط ابداً» ، كل ما عداها سيبطل ، أما الإيمان

والرجاء والمحبة فستبقى:

الإيمان الذى وصله صبر المسيح
الرجاء الذى ينتظره صبر الإنسان
والمحبة التى يلازمها الصبر .

وكما تحدث ترتليان عن صبر النفس ، يتحدث عن صبر الجسد ، ويأتى هذا من معاناة الضيقات التى من أجل الرب فى جهاد الصدقات والأصوام والصلوات ، الأمر الذى يجعل الله يميل أذنه ويطيل أناته علينا ، فقد عاش ملك بابل سبع سنوات محروماً من آدميته كالحيوانات ، ولما قدم ذبيحة صبر جسده استعاد عرشه وارضى الله بذلك... إنه الصبر الذى يعين على ضبط الجسد ويعزى وحدة الأرملة ويختم على عفة العذراء ويرفع نفوس الذين خصوا أنفسهم لأجل الملكوت .

ولأنه كان يعيش فى زمان الإضطهادات ، لذلك يربط ترتليان بين الصبر والإستشهاد ، فمعونة الصبر هى التى جعلت الأنبياء والرسل يغلبون الضربات والنار والوحوش والسيف ، وبقوة الصبر جاز أشعياء المنشار واحتمل استفانوس رجم الحجارة .

ويلخص ترتليان عمل الصبر ، فهو يقوى الإيمان وينشر السلام ، ويضبط الجسد ويضمد الجروح ويحفظ اللسان ، ويأخذ باليد ، ويهزأ بالتجارب ويزيل العثرات ويتوج الشهداء ، إنه يعزى المسكين ويحكم الغنى ويهدئ المريض ويحفظ القائم ويفرح المؤمن ويجتذب الوثنى ويوصى السيد على عبيده ، إننا نحبه لدى الطفل ونمتدحه لدى الشاب ونحترمه لدى الشيخ .

١٣) اللاهوت والفلسفة

بينما امتدح كلمنضس السكندرى كثيراً مفكرى اليونان ، واعتبر انه كما الناموس لليهود ، كذلك الفلاسفة للوثنيين ، يؤمن ترتليان على العكس من ذلك بانه ليس هناك أى شئ مشترك بين الفلسفة والإيمان: «ما علاقة أثينا بأورشليم ؟ أى إتفاق بين الأكاديمية وبين الكنيسة ؟ أو بين الهراطقة وبين المسيحيين ؟» (٥٠) .

ويرى انه يجب أن تُبعد كل حكمة بشرية بعيداً عن الكنيسة لأنها «تدعى أنها تعرف الحق بينما هى فقط تفسده» (٥١) .

ويقول: «أهناك أى تشابه بين المسيحى والفيلسوف؟ بين تلميذ اليونان وتلميذ السماء؟ بين من يسعى للشهرة ومن يسعى للحياة؟ بين من يتكلم ومن يعمل؟ بين من يبنى ومن يهدم؟ بين الصديق وبين العدو المخطئ؟ بين من يفسد الحق وبين من يسترجعه ويعلمه؟» (٥٢).

وحتى سقراط الذى كان القديس يوستين يسميه «مسيحى» ليس بالنسبة لترتليان إلا «مفسد للشباب» (٥٣).

ومن ناحية أخرى رأى أن الفكر الوثنى كان فيه لمحات من الحق: «لن ننكر بالطبع أن الفلاسفة قد فكروا احياناً نفس التفكير مثلنا» (٥٤).

وفى الواقع لا يمكن الإستهانة بتأثير الفلاسفة الرواقيين *Stoics* على العلامة ترتليان ، فمفهومه عن الله وعن النفس والكثير من مبادئه الأخلاقية يشهد لاعتماده على تعاليمهم .

وعندما يتحدث عن بعض التشبيهات بين عقائد الكنيسة وأفكار الفلاسفة الوثنيين ، يحرص ترتليان على أن يؤكد أن هؤلاء الفلاسفة قد سرقوها من العهد القديم والذى يخص المسيحيين

كمصدر من مصادر الاستعلان ، والمفكرون والفلاسفة القدماء لم يفعلوا شيئاً إلا تشويه الحقائق المسلمة من الله ، وهكذا صاروا مؤسسين للهرطقات فهم «آباء الهراطقة» (٥٥) .

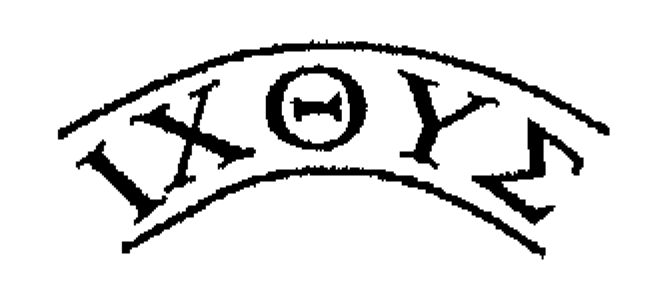
١٤) اللاهوت والقانون

إذ كان ترتليان محامياً لذا كانت ثقته فى القانون أكثر منها فى الفلسفة ، فالقانون وتطبيقاته هو ما كان يطلبه من المضطهدين ، والقانون هو الذى ساعده في كتابة دفاعه عن الكنيسة ، وأمده بالبراهين والحجج ضد الهراطقة ، فالشريعة المكتوبة ـ بحسب ترتليان ـ تجعل مناقشة الهراطقة أمراً غير ضرورى لأن عليهم يقع عبء إثبات أقوالهم لأنهم هم مدّعوها الذين ابتكروا أموراً جديدة (٥٦) .

كما أوحى إليه القانون بالعديد من المفاهيم والتشبيهات والمصطلحات التى أدخلها فى علم اللاهوت ولا تزال مستخدمة حتى اليوم ، وايضاً سادت رؤيته القانونية فى شرحه للعلاقة بين الله والإنسان ، فالله هو معطى الشريعة (٥٧) ، وهو الديان الذى

يُطبقها [٥٨] ، والإنجيل هو قانون المسيحيين [٥٩] ، والخطية هى كسر هذا القانون والخروج عنه ، وهى لذلك إساءة لله [٦٠] ، وفعلِ الصلاح هو مرضاة الله [٦١] ، لأن الله يوصينا به ، ومخافة الله معطى القانون والديان هى بداية الخلاص [٦٢] ، والله يسر بفضيلة الإنسان [٦٣] ، ويستخدم ترتليان الكلمات «دين ، رضى ، تعويض ، تكفير» كثيراً فى كتاباته .





مُلحق

١) الدوسيتية (الظهوريون) Docetism [١]

من الفعل اليونانى δοκεω أى «أبدو I seem» ، وهى بدعة ظهرت فى الكنيسة الأولى كانت تقول أن ناسوت وآلام السيد المسيح لم تكن إلا ظهوراً وخيالاً وليست حقيقية ، ونجد إشارات إليها فى العهد الجديد (١يو٤ :١-٣ + ٢يو٧، وقارن كو٢ :٨ وما بعدها) لكنها بلغت ذروتها فى الجيل التالى أى بين الغنوصيين ، وفى بعض أفكارها أن السيد المسيح نجى بطريقة معجزية من الموت فمثلا كان بعضهم يقول أن يهوذا الاسخريوطى أو سمعان القيروانى قد قام بدور المسيح قبل الصلب وحل محله فيه .

دافع القديس أغناطيوس الأنطاكى بقوة عن الإيمان ضد هذه البدعة ، مثله فى هذا مثل باقى الأباء الذين دافعوا عن الإيمان ضد الغنوصية ، وبين هؤلاء الذين اهتموا بالدوسيتية على وجه الخصوص كان سيرابيون أسقف أنطاكية (١٩٠-٢٠٣م) الذى

كان أول من استخدم كلمة «ظهوريون ـ دوسيتيون -Docetists *Δοκηται*» ، كما خصص بعض الأباء كتابات منفردة للرد على الدوسيتيين .

٢) الغنوصية Gnosticism [٢]

كلمة «الغنوصية» مشتقة من الكلمة اليونانية *γνωσισ* أى «معرفة» ، وقد أطلقت على حركة دينية ظهرت فى شكلها المسيحى فى القرن الثانى ، وقد ثبت أن الأصول الفكرية للغنوصية المسيحية كانت موجودة فعلاً فى الديانات الوثنية ، وقد ظهرت الحركة أولاً كمدرسة أو مدارس فكرية داخل الكنيسة ، وسرعان ما انتشرت فى مراكز مسيحية رئيسية ، وبنهاية القرن الثانى ، كان الغنوصيون قد صاروا فعلاً طوائف مستقلة ، وبعض كتابات العهد الجديد المتأخرة ، مثل رسالة يوحنا الأولى والرسائل الرعوية ، رفضت صوراً من التعليم الكاذب تتشابه مع نظام التعليم الغنوصى الذى أشار إليه كتاب القرن الثانى رغم أنها أقل منه تطوراً .

أخذت الغنوصية أشكالاً متنوعة كانت ترتبط عادة باسماء مشاهير معلميها ، مثل ڤالنتينوس *Valentinus* ، باسيليدس

Basilides ، مرقيون *Marcion*، وكان هؤلاء المبتدعون يهتمون بصفة خاصة بالمعرفة (غنوصية *Gnosis*)والتى كانوا يعتقدون أنها معرفة معلنة لهم عن الله وعن البشرية ، وعن طريق هذه المعرفة ينال العنصر الروحى فى الإنسان الفداء ، ومصادر هذه «المعرفة» الخاصة ـ بحسب الغنوصيين ـ هى الرسل الذين منهم سُلمت عن طريق تقليد سرى ، أو عن طريق الاعلان المباشر لمؤسس الهرطقة ، وتتنوع النظم التعليمية لهم ما بين من يمثلون أفكاراً فلسفية أصيلة ، وبين من يمثلون مزيجاً من الأساطير والطقوس السحرية مع عناصر متنوعة من المسيحية .

استخدمت الطوائف الكبيرة من الغنوصية وشرحت أسفار العهد القديم مع العديد من كتب العهد الجديد ، وكانوا يعطون مكانة خاصة لشخصية السيد المسيح ، إلا أن تفسيرهم للكثير من الأساسيات المسيحية يختلف عن تعليم الكنيسة المقدسة .

ومن أهم سمات التعليم الغنوصى كان فصلهم وتميزهم بين «الإله الخالق *creator god*» وبين الكائن الإلهى البعيد الذى لا يُعرف ، ومن هذا الكائن الإلهى خرج الإله الخالق ، وصار المصدر الفورى للخلق وحكم العالم ، ولكن فى تكوين بعض الناس

دخلت بذرة أو شرارة من الجوهر الروحى الإلهى ، وعن طريق «المعرفة» والطقوس المرافقة لها ، يمكن لهذا العنصر الروحى أن ينجو من البيئة المادية الشريرة ويضمن عودته إلى مكانه الأصلى فى الكائن الإلهى ، هؤلاء الناس هم «روحيون- *spiritual* *πνευματικοι* » بينما الأخرون هم مجرد«جسدانيون*fleshly* - *σαρκικοι*» أو «ماديون *material - ψλικοι*» كما أضاف بعض الغنوصيين حالة ثالثة وهى «النفسانيون- *psychic* *ψυχικοι*» ، وعمل المسيح كان أن يأتى كرسول للإله العظيم مقدماً «المعرفة» ، وإذ كان كائناً إلهياً ، لذلك لم يتخذ جسداً بشرياً حقيقياً ولا مات ، بل إما انه سكن مؤقتاً فى كائن إنسانى ، وهو يسوع ، أو اتخذ مجرد مظهر خيالى غير حقيقى يبدو كانه إنسان .

وقد أكد الأباء الكبار[٣] الذين كتبوا ضد الغنوصية ـ مثل القديس ايريناؤس والعلامة ترتليان وهيبوليتس ـ على الأفكار الوثنية الموجودة فى الغنوصية ، واستعانوا بالمعنى الواضح للأسفار المقدسة كما يفسرها تقليد الكنيسة الذى سلم علانية عن طريق تسلسل من المعلمين يرجع إلى الرسل ، وأكد هؤلاء الأباء على شخص

الخالق ، على صلاح الخليقة المادية ، وعلى حقيقة الحياة الأرضية للمسيح ، خاصة صلبه وقيامته ، فقد كان الإنسان يحتاج للفداء من إرادة شريرة وليس من بيئة شريرة ، وقد ظلت كتابات هؤلاء الآباء ووصفهم للغنوصية حتى وقت قريب المصدر الأساسى لمعرفتنا عن هذه البدعة .

ولكن دخلت دراسة الغنوصية مرحلة جديدة بإكتشاف مجموعة كبيرة من النصوص القبطية بالقرب من نجع حمادى فى صعيد مصر عام ١٩٤٥-١٩٤٦م ، وهى تتضمن نحو ٤٠ كتاباً لم يكن معروفاً منها قبلاً إلا أثنين فقط [٤] .

٣) مرقيون *Marcion* [٥]

مواطن ثرى من بونطس ، وبحسب هيبوليتس [٦] ، وكان ابناً لأسقف حرمه بسبب سوء أخلاقه ، وفى نحو عام ١٤٠م ، ذهب إلى روما ، وانضم إلى الكنيسة الارثوذكسية هناك ، وفى الأعوام القليلة التالية وضع منهجه الهرطوقى ونظم أتباعه كطائفة منفصلة عن الكنيسة ، وفى عام ١٤٤م قطع رسمياً من الكنيسة

ومنذ ذاك الحين أخذ يبذل قصارى جهده لينشر أفكاره وتلمذ له اتباعاً فى كل نواح الامبراطورية ، ويعتبر العدد الكبير لمن قاوموه ودحضوه مثل ديونيسيوس الكورنثى وايريناوس أسقف ليون وثيؤفيلوس الأنطاكى وترتليان وهيبوليتس ، دليلاً على انتشار تعاليمه ، وبنهاية القرن الثالث كان أغلب المرقونيين قد إنضموا إلى المانيين *Manichaeism* ، ولكنهم استمروا موجودين فى أعداد قليلة لفترة طويلة فيما بعد .

كانت الفكرة الأساسية عند مرقيون هى أن الإنجيل المسيحى هو إنجيل الحب الذى يستقصى تماماً الناموس ، وهذه العقيدة ، والتى شرحها بصفة خاصة فى كتابه «المتناقضات *Antitheses*» ، جعلته يرفض العهد القديم تماماً ، ويرى أن الله الخالق ، والذى استعلن فى العهد القديم بدءً من سفر التكوين وما بعده كإله الناموس ، ليس له أى علاقة بإله يسوع المسيح ، ، ودراسة العهد القديم ـ كما يظن ـ تثبت أن هذا الإله اليهودى قد أدخل نفسه دوماً فى أفعال متناقضة ، فكان متغيراً على الدوام ، جاهل وقاسى ، أما إله الحب الكامل الذى جاء يسوع ليعلنه فكان مختلفاً تماماً ، وكان هدف يسوع أن يهزم إله الناموس هذا .

وبحسب مرقيون كان القديس بولس الرسول هو الوحيد الذى درك هذا التناقض التام بين النعمة والناموس ، بينما كان التلاميذ لإثنى عشر والإنجيليين عمياناً عن الحق بسبب تأثرهم ببقايا الفكر ليهودى ، ولذلك كانت الأسفار القانونية الوحيدة بالنسبة لمرقيون هى الرسائل البولسية العشرة (يبدو انه إما رفض أو لم يعرف بوجود الرسائل الرعوية) ، وكان يشجع أتباعه على دراسة هذه الأسفار بحسب منهجه ، وكان يرفض كل التفاسير الرمزية ، أما عن خريستولوچيا مرقيون ، فكان من الدوسيتيين .

ورغم أن كل كتاباته قد فُقدت ، إلا انه من الممكن أن نعرف الكثير عنها وأن نعيد تجميع الكثير من نصوص إنجيله ، خاصة من أعمال ترتليان .

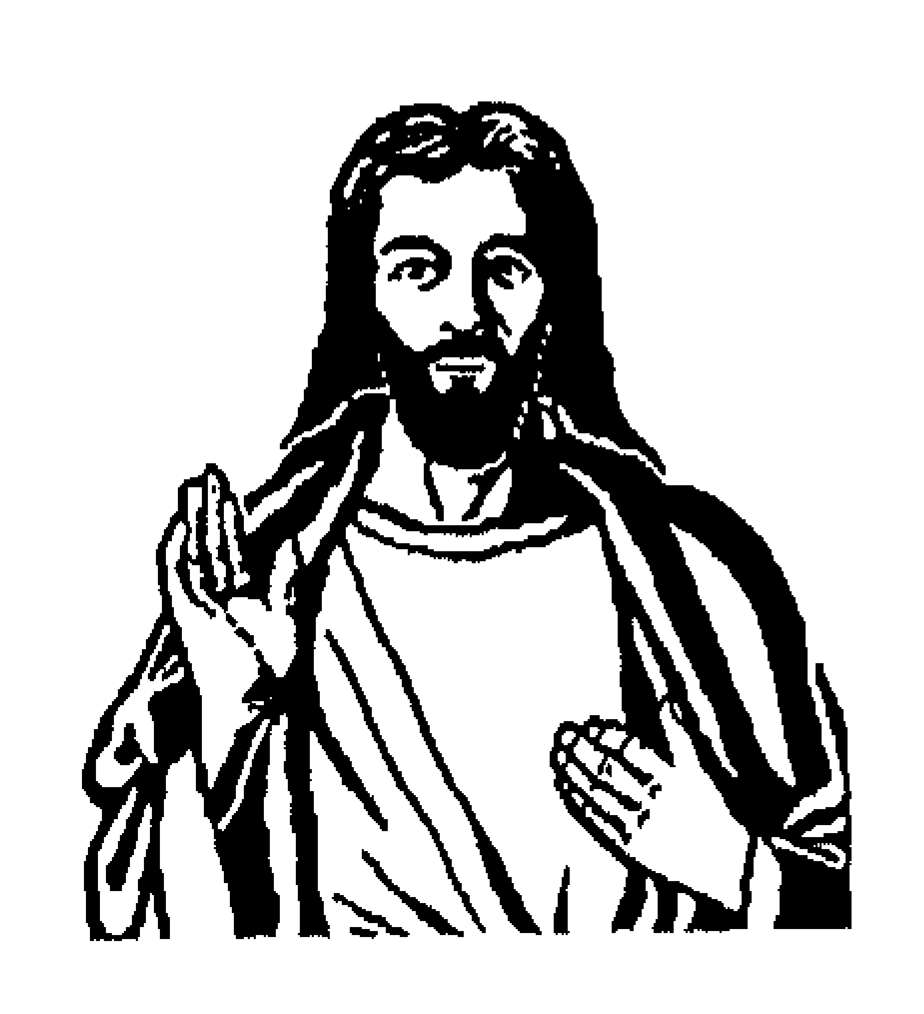
٤) ڤالنتينوس *Valentinus* (٧)

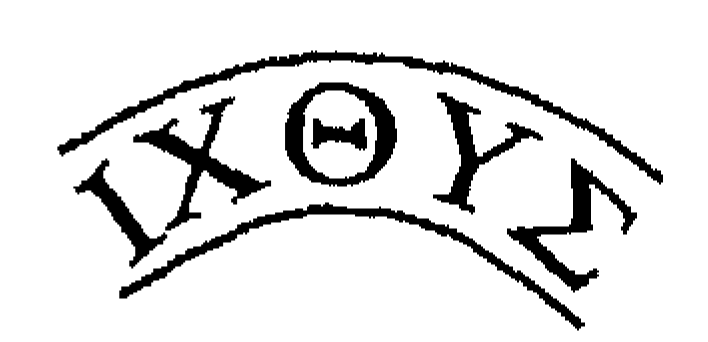
أحد قادة الغنوصيين ومؤسس طائفة الڤالنتانيين ، وبحسب القديس إيريناؤس وأخرين ، كان مواطناً من مصر ، وكان تلاميذه يدّعون أنه تعلم على يد أحد تلاميذ بولس الرسول ، وقد عاش فى روما من نحو ١٣٦م إلى نحو ١٦٥م وكان يطمح فى أن يختار

أسقفاً «بسبب قدرته الفكرية وبلاغته» كما يقول ترتليان ، ولكنه إذ لم ينل هذه الرتبة المقدسة ، فانفصل عن الكنيسة .

وضع ڤالنتينوس العديد من الكتابات ، واُكتشفت أعمال أخرى له فى مخطوطات نجع حمادى بالقبطية .

وفكره العقيدى عبارة عن مزيج من الميثولوچيا والأفكار الأفلاطونية والفيثاغورثية ، وقد أنكر تجسد المسيح من العذراء وزعم انه أتى بجسده من السماء ومر بجسد العذراء كما يجرى الماء من القناة .





المصادر والمراجع

مقدمة

1) *Jerome ; De vir. ill. ch. 53 .*

2) *Jerome ; Adv. Helv. ep.17 .*

العلامة ترتليان

1) *Jerome ; De vir. ill. ch. 53 .*

2) *Ad Scapulam, 5 .*
3) *Ibid. 2 .*
4) *J. Quasten ; Parology , 1990, vol. 2, pp.249.*
5) *Ibid.*

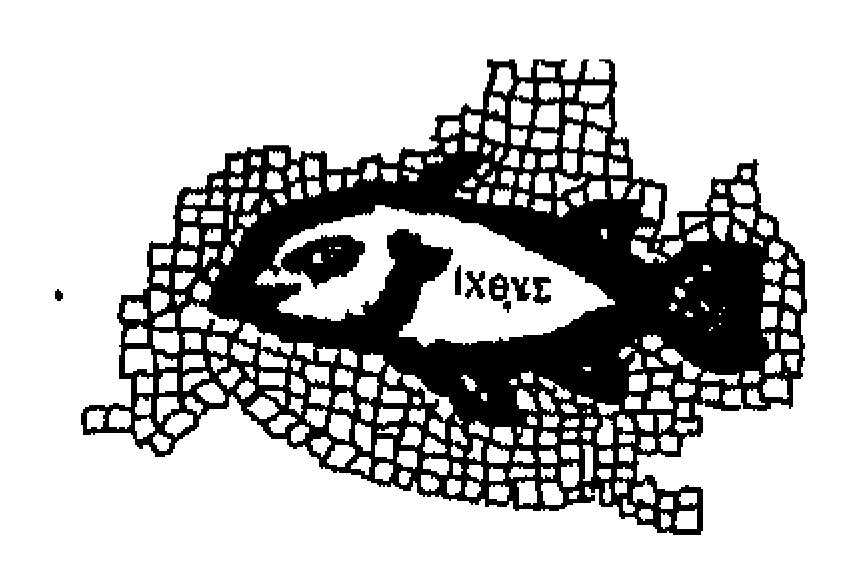
كتاباته

1) *Ch. 1-6.*
2) *Ch. 7-19.*
3) *Quasten; Patrology, vol. 2, p. 256.*
4) *1, 2.*
5) *24, 1-2.*
6) *24, 6-10.*
7) *30, 1-3.*
8) *29, 1-7.*
9) *50, 13.*
10) *Quasten; p. 260 .*



11) Apologeticum, 17,4-6 .
12) Ch. 1 .
13) Ch.2 .
14) Ch.3 .
15) Ch.5 .
16) Ch.1 .
17) Ch.5 .
18) Ch.4 .
19) Ch.5.
20) Ch.6.
21) Ch.15.
22) Ch.18.
23) Ch.20.
24) Ch.21.
25) Ch.22.
26) Ch.22-26.
27) Ch.27.
28) Ch.29.
29) Ch.31.
30) Ch.38.
31) Ch.40.
32) Ch.41-44.
33) Ibid.
34) Ch.46-53.
35) See: Quasten, Patrology, vol.1, p.268-277.
36) 1,3.
37) Eusebius; Hist. eccl. 4,24.
38) Ch.1,1.





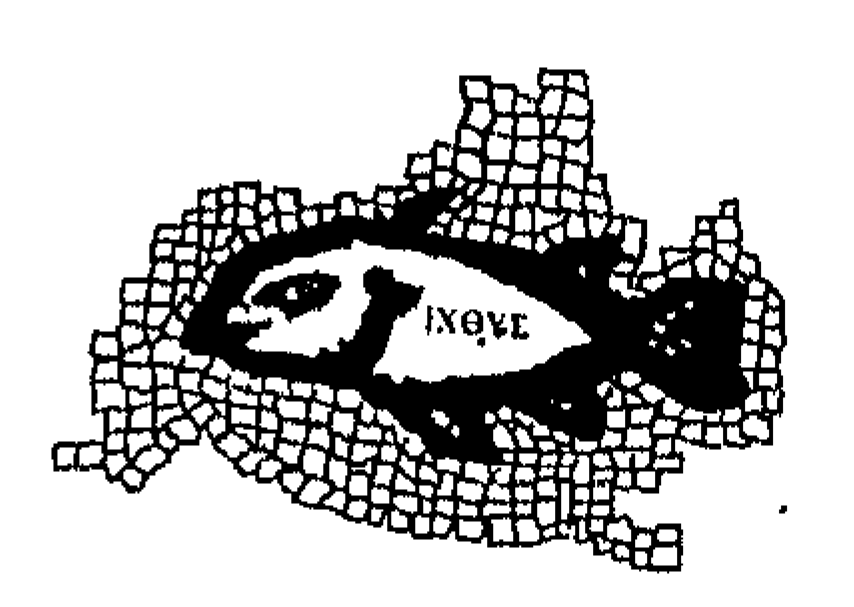
39) Ch.1-18.
40) Ch.19-34.
41) Ch.35-45.
42) Ch.5.
43) Ch.1.
44) Ch.2.
45) Ch.3.
46) Ch.4.
47) Ibid.
48) Ch. 9.
49) Ch.10.
50) Ch.11.
51) Ch.15.
52) Ibid.
53) Ch.16.
54) Ibid.
55) Ch.19
56) Ch.2-4.
57) Ch. 1.
58) 17.
59) 23.
60) 25.
61) Ch.1-2.
62) Ch.3-15.
63) 16-17.
64) Ch.18.
65) Ch.18-55.
66) Ch.56-63.
67) Ch.63.
68) Ch.1.
69) Ch.9.
70) 2 ff.
71) Quasten; vol 2, p.286.
72) Ch.4-13.
73) Ch.14-30.
74) De idol. 13; De cultu. fem. 1,8.
75) Ch.5-7.
76) Ch.13.
77) Ch.2-9.
78) Quasten; vol.1, p. 296.
79) Ch.10-12.
80) Ch.13-14.
81) Ch.15-16.
82) Ch.17.
83) Ch.18.
84) Ch.23.
85) Ch.24.
86) Ch.1.
87) Quasten, p.299.
88) Ch.4-6.
89) Ch.7.
90) Ibid.

91) Ch. 9-12.
92) Ch.12.
93) 2,5.
94) 2,8.
95) Ch.9.
96) Ch.15.
97) See: Ch.3
98) Ch.1.
99) Ch.6.
100) Ch.12.
101) Ch.1;11;14.
102) Ch.4.
103) 8-11.

ملامح من فكره

1) J.N.D. Kelly, Early Christian Doctrines, ch.2 "Tradition and Scripture" .
2) De Praes. Haer.20,21,32.
3) Ad mart. 1.
4) De orat. 2.
5) De bapt. 20.
6) De an. 43.
7) De pudicitia 5,14.
8) Apolog. 39.
9) De pud. 21.
10) Ibid. 2.
11) Ibid. 4.
12) ibid.
13) Ibid. 12.
14) Adv. Prax. 12.
15) Ibid.
16) Hermog. 3.
17) Adv. Prax. 8.
18) Quasten; p. 328.
19) This review has been made from the English translation puplished in "The Ante- Nicene Fathers", vol.III.
20) Ad. Bap.ch.1.
21) Ibid. ch.3.
22) Ibid. ch. 4.
23) Ibid. ch. 5.
24) Ibid. ch. 6.
25) Ibid.
26) Ibid. ch. 7.
27) Ibid. ch. 8.

28) Ibid. ch. 9. *29) Ibid. ch. 13.*
30) Ibid. ch. 16. *31) De resurr. carnis 2.*
32) De pud. 9. *33) Adv. Marc. 4,40.*
34) Ibid. 3,19. *35) De carne Chr. 32.*
36) Ibid.cf. also De carne Chr. 7; Adv. Marc. 4,19; De monog. 8; De virg. vel. 6.
37) Adv. Helv 17.
38) De carne Chr. 17. *39) De pud. 18,18;14,16.*
40) De paen. 3. *41) Ibid.4.*
42) Ibid. *43) Ibid. 8.*
44) Ibid.
45) This review has been made from the English translation puplished in "The Ante- Nicene Fathers", vol. III.
46) On Prayer, ch. 9.
47) Ibid.ch. 29.
48) This review has been made from the English translation puplished in "The Ante- Nicene Fathers",vol. III.
49) This review has been made from the English translation puplished in "The Ante- Nicene Fathers", vol. III.
50) De praescr. 7.
51) Ibid.
52) Apol. 46.
53) Ibid..
54) De an.2.
55) Ibid. 3.



56) Aol. 47,10.
57) De paen.1.
58) Ibid.
59) De monog. 8.
60) De paen. 3; 5; 7; 10; 11.
61) Ibid. 5; 6; 7.
62) Ibid. 4.
63) De paen.2,6.

الملحق

1) F.L.Cross; The Oxford Dictionary of The Christian Church, Oxford University Press, 1974, p.413.
2) Ibid. p. 573.
3) Much information on Gnostic doctrines and practices may be gathered from the anti-heretical writings of the fathers, notably Irenaeus "Adversus Haerses", Clement of Alexandria "Experta ex Theodoto", Tertullian "Adversus Marcion", Hippolytus "refutatio Omnium Haeresium" and Epiphanius "Panarion".
4) J. M. Robinson; The Coptic Gnostic Library Today, New Testament Studies, xiv, 1968, p.36-401.
5) Cross; p. 870.
6) Hippolytus, Syntagma ap.; Epiphanius Haer., 42.
7) Cross; p. 1423.

الفهرس

جـ) الأعمال الأخلاقية والنسكية

ملامح من فكره



السمكة فى التقليد المسيحى المبكر جداً هى الشعار الذى كان المسيحيون يتعارفون به على بعضهم ، برسمها أو بكتابة اسمها «اخثوس» IXΘYΣ وهذه الحروف الخمسة هى اختزال اسم المسيح وصفته ، وتعنى :

"يسوع المسيح ابن الله مخلص"

I	= IHΣOYΣ	= إيســوس	= يسوع
X	= XPIΣTOΣ	= خريستوس	= المسيح
Θ	= ΘHOY	= ثيــؤ	= الله
Y	= YIOΣ	= يــوس	= ابن
Σ	= ΣΩTHP	= ســوتير	= مخلص



تطلب من :

=======

كنيسة مارجرجس ـ اسبورتنج ـ الاسكندرية

ص. ب. ١٧ الابراهيمية ـ ت . (٠٣/٥٩٦٩٨٨٨)

كنيسة القديسين ـ سيدى بشر ـ الاسكندرية .

ت . (٠٣/٥٤٨٧٧٢٨) .